حاكم.

ذكرى العادل

مدير خير القادر الخراوي

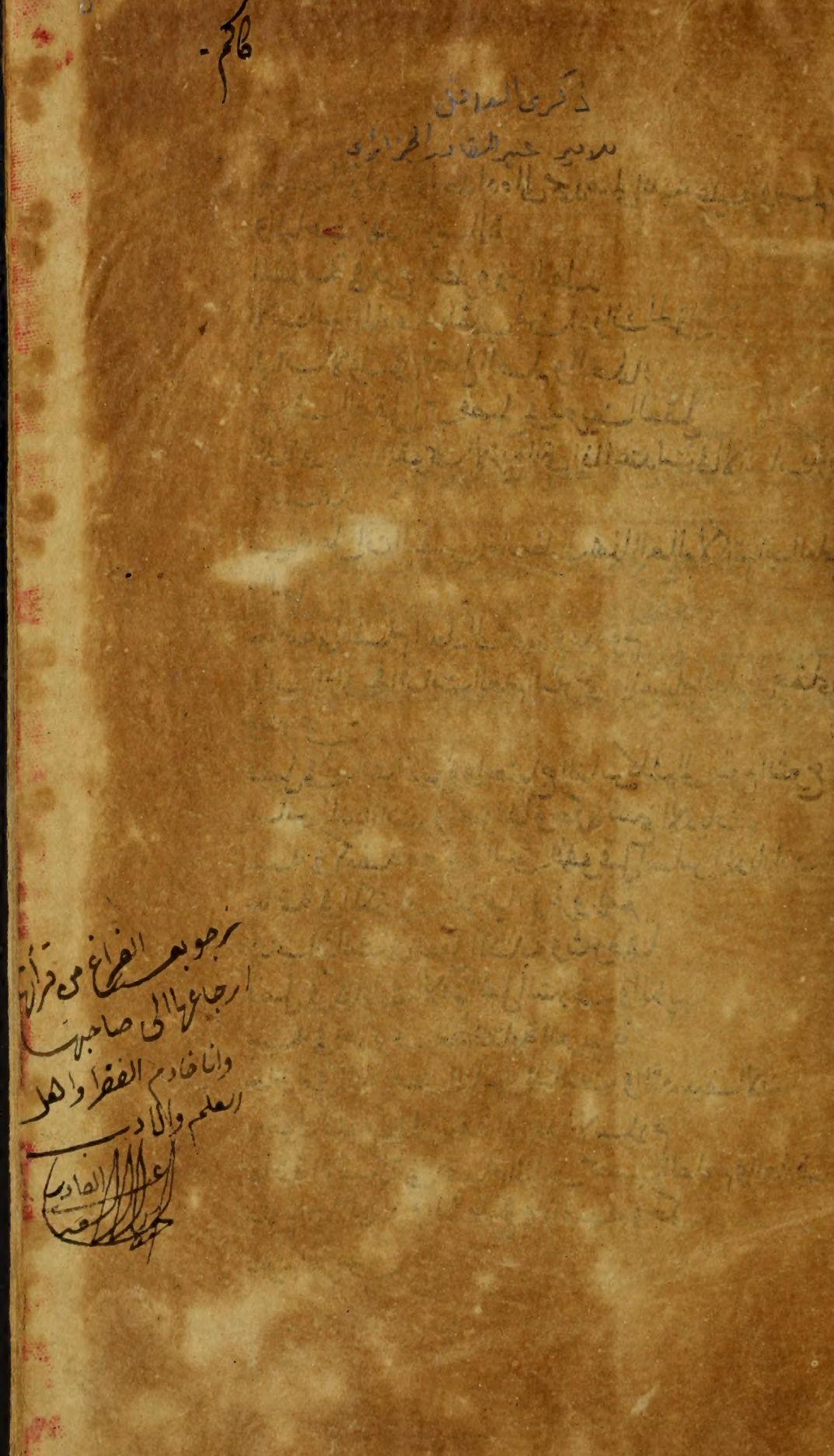

يرجو بعد الفراغ من قراءته
ارجاعه الى صاحبه
وانا خادم الفقراء واهل
العلم والادب

العادل

١ نسب المؤلف واجداده الى محمد صلى الله عليه وسلم
والباعث لهذه الرسالة
٢ المقدمة فى مدح النظر وذم التقليد
٤ الاسباب المانعة للقلب من ادراك الحق
٦ الباب الاول فى فضل العلم والعلماء
١١ تعريف العقل اي فصل فى تعريف العقل
١٥ تكلمة فى بيان القوى الاربع التى اذا اعتدلت فى الانسان يكون
انسانا
١٧ تنبيه على ان النفس انما دخلت لهذا العالم لاكتساب العلم
والعمل
٢٢ خاتمة فى انقسام العلم الى محمود ومذموم
٢٧ الباب الثانى فى اثبات العلم الشرعى وانقسام العلم الى عقلى
وشرعى
٣٢ فصل فى اثبات النبوة واحتياج الناس كلهم الى علوم الشرع
اساس الديانات واصولها وحكمة نسخ الاديان
٣٦ تنبيه فى كيفية معرفة النبى فهو قبل اساس الديانات
٤٢ خاتمة فى المكذبين للانبياء وغرورهم
٤٤ الباب الثالث فى فضل الكتابة وشرفها
٤٧ فصل فى كتابات الامم اهل المشرق والمغرب
٥١ تنبيه فى حروف الكتابة العربية
٥٤ خاتمة فى انكار بعض الناس للتاليف والتصنيف الان
دخول علوم الفلاسفة الى بلد الاسلام
٥٨ خاتمة الرسالة فى انقسام الناس بحسب العلوم والمعارف
٥٩ علوم اهل الهند والشطرنج وواضعه وحكمته
٦٠ علوم الفرس

علوم

٦٧ علوم اليونانيين
٦٣ علوم الروم
٦٤ علوم الفرنج
٦٦ علوم العرب
٦٩ علوم العبرانيون
٦٩ علوم اهل مصر
٦٩ السبب فى اختلاف فى العقول وبه يختم الرسالة

٧١ خطبة الامام على رضى الله تعالى عنه وكرم وجهه
٧٤ قصيدة الامير المجاهد فى سبيل الله سيدى عبد القادر محى الدين المغربى صاحب هذا التاليف
٨٣ قصيدة الهمزيه الوبائية للامام البوصيرى رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه يقول عبد
القادر بن محي الدين بن المصطفى بن محمد بن المختار بن عبد
القادر بن احمد بن عبد القادر بن احمد بن محمد بن عبد
القوي بن علي ابن احمد بن عبد القوي بن خالد بن
يوسف بن احمد بن بشار محمد بن مسعود بن طاووس بن
يعقوب بن عبد القوي بن احمد بن محمد بن محمد ابن ادريس
ابن ادريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن
الحسن سبط الرسول بن علي بن ابي طالب بن عبد المطلب
ابن هاشم وام الحسن فاطمة بنت رسول الله بن عبد الله
ابن عبد المطلب بن هاشم الحمد لله رب العالمين ورضي
الله تعالى عن العالمين اما بعد فانه بلغني ان علماء
بربز، وفقهم العليم الحكيم العزيز، كتبوا اسمي في دفتر العلماء
ونظموني في سلك العظماء، فاهتززت لذلك فرحا شم،
اغتممت ترحا، فرحت من حيث ستر الله علي، حتى نظر،
عباده بحسن الظن الي، واغتممت من كون العلماء استسمنو،
ذاورم، ونفخوا في غير ضرم، ثم اشار على بعض المحبين،
منهم بارسال بعض الرسائل اليهم، فكتبت هذه العجالة،
للتشبه بالعلماء الاعلام، ورميت سهمي بين السهام فتشبهوا،
ان لم تكونوا منهم، ان التشبه بالكرام رباح، وسميت،
هذه الرسالة ذكرى العاقل، وتنبيه الغافل، ورتبتها،

على

على مقدمة وثلاثة ابواب، وخاتمة وفى كل باب فصل وتنبيه
وخاتمة، اما المقدمة ففى الحث على النظر وذم التقليد واما
الباب الاول ففى فضل العلم والعلماء وفيه فصل فى تعريف
العقل الذى به ادراك العلوم وتكملة فى القوى الاربع التى
اذا اعتدلت فى الانسان يكون انسانا كاملا وتنبيه فى
فضل ادراك العقل على ادراك الحواس وفضل مدركات
العقل على مدركات الحواس، وخاتمة فى انقسام العلم الى محمود
ومذموم واما الباب الثانى ففى العلم الشرعى وفيه فصل
فى اثبات النبوة التى هى منبع العلوم الشرعية وفيه تنبيه
فى معرفة النبى ومايتعلق بالنبوة وخاتمة فى المكذبين للانبياء
واما الباب الثالث ففى فضل الكتابة، وفيه فصل فى الكلام
على كتابات الامم ومن وضعها ومايجر الى ذلك وتنبيه
فى بيان حروف الكتابة العربية وخاتمة فى احتياج الناس الى
التصنيف ومايتعلق به المقدمة اعلموا انه يلزم العاقل،
ان ينظر فى القول ولاينظر الى قائله فان كان القول حقا قبله
سواء كان قائله معروفا بالحق او الباطل فان الذهب يستخرج
من التراب والنرجس من البصل والترياق من الحيات ويجتنى
الورد من الشوك فالعاقل يعرف الرجال بالحق ولايعرف الحق
بالرجال والكلمة من الحكمة ضالة العاقل ياخذها من،
عند كل من وجدها عنده سواء كان حقيرا او جليلا واقل
درجات العالم ان يتميز عن العامى بامور منها انه لايعاف،
العسل اذا وجده فى محجمة الحجام ويعرف ان الدم قذر لا،
لكونه فى المحجمة ولكنه قذر فى ذاته فاذا عدمت هذه
الصفة فى العسل فكونه فى ضرب الدم المستقذر لايكسبه
تلك الصفة ولايوجب نفرة عنه وهذا وهم باطل لبس،

على اكثر الناس فمهما نسب كلام الى قايل حسن اعتقادهم فيه
قبلوه وان كان القول باطلا وان نسب القول الى من
ساء فيه اعتقادهم ردوه وان كان حقا ودايما يعرفون
الحق بالرجال ولا يعرفون الرجال بالحق وهذا غاية الجهل
والخسران فالمحتاج الى الترياق اذا هربت نفسه منه حيث
علم انه مستخرج من حية جاهل فيلزم تنبيهه على ان نفرته
جهل محض وهو سبب حرمانه من الفائدة التى هى مطلوبه
فان العالم هو الذى يسهل عليه ادراك الفرق بين الصدق
والكذب فى الاقوال وبين الحق والباطل فى الاعتقادات وبين
الجميل والقبيح فى الافعال لا بان يكون متلبسا عليه الحق بالباطل
والكذب بالصدق والجميل بالقبيح ويصير يتبع غيره ويقلده
فيما يعتقد وفيما يقول فان هذه ما هى الا صفات الجهال
والمتبوعون من الناس على قسمين قسم عالم مسعد لنفسه
ومسعد لغيره وهو الذى عرف الحق بالدليل لا بالتقليد ودعى
الناس الى معرفة الحق بالدليل لا بان يقلدوه وقسم مهلك
لنفسه ومهلك لغيره وهو الذى قلد اباءه واجداده فيما
يعتقدون ويستحسنون وترك النظر بعقله ودعى
الناس لتقليده والاعمى لا يصلح ان يوقد العميان واذا
كان تقليد الرجال مذموما غير مرضى فى الاعتقادات
فتقليد الكتب مذموم اولى واحرى وان بهيمة توقد افضل
من مقلد ينقاد وان اقوال العلماء والمتدينين متضادة متخالفة
فى الاكثر واختيار واحد منها واتباعه بلا دليل باطل لانه
ترجيح بلا مرجح فيكون معارضا بمثله وكل انسان من حيث
هو انسان فهو مستعد لادراك الحقايق على ما هى عليه
لان القلب الذى هو محل العلم بالاضافة الى حقايق الاشياء

كالمرآت بالاضافة الى صور المتلونات تظهر فيها كلها على
التعاقب لاكن المرات قد لاتنكشف فيها الصور لاسباب
احدها نقصان صورتها كجوهر الحديد قبل ان يدور ويشكل
ويصقل والثانى لخبثه وصداه وان كان تام الشكل والثالث
لكونه غير مقابل للجهة التى فيها الصورة كما اذا كانت الصورة
وراء المرات ٩ والصورة والخامس للجهل بالجهة التى فيها
الصورة المطلوبة حتى يتعذر بسببه ان يحاذى به الصورة
وجهتها فكذالك القلب مرات مستعدة لان ينجلى فيها
صور المعلومات كلها وانما خلت القلوب عن العلوم التى
خلت عنها لهذه الاسباب الخمسة اولها نقصان فى ذات
القلب كقلب الصبى فانه لاتنجلى له المعلومات لنقصانه
والثانى لكدرات الاشغال الدنياويه والخبث الذى يتراكم
على وجه القلب منها فالاقبال على طلب كشف حقايق
الاشياء والاعراض عن الاشياء الشاغلة القاطعة لهو الذى
يجلى القلب ويصفيه والثالث ان يكون معدولا به
عن جهة الحقيقة المطلوبة والرابع الحجاب فان العقل
المتجرد للفكر فى حقيقة من الحقايق ربما لاتنكشف له لكونه
محجوبا باعتقاد سبق الى القلب وقت الصبا على طريق التقليد
والقبول بحسن الظن فان ذلك يحول بين القلب والوصول
الى الحق ويمنع ان ينكشف فى القلب غير ماتلقاه بالتقليد وهذا
حجاب عظيم حجب اكثر الخلق عن الوصول الى الحق لانهم
محجوبون باعتقادات تقليدية رسخت فى نفوسهم وحمدت
عليها قلوبهم والخامس الجهل بالجهة التى يقع فيها العثور
على المطلوب فان الطالب لشيئ ليس يمكنه ان يحصله
الا بالتذكر للعلوم التى تناسب مطلوبه حتى اذا تذكرها

٩ والرابع لحجاب مرسل بين المرات صح

ورتبها فى نفسه ترتيبا مخصوصا يعرفه العلماء فعند ذلك
يكون قد صادق جهة المطلوب فتظهر حقيقة المطلوب
لقلبه فان العلوم المطلوبة التى ليست فطرية لاتصاد الا
بشبكة العلوم الحاصلة بل كل علم لايحصل الا عن علمين شاءين
بائتلفان ويزدوجان على وجه مخصوص فيحصل من
ازدواجهما علم ثالث على مثال حصول النتاج من ازدواج
الفحل والانثى ثم كما ان من اراد ان يستنتج فرسا لم
يمكنه ذلك من حمار وبعير بل من اصل مخصوص من
الخيل الذكر والانثى وذلك اذا وقع بينهما ازدواج مخصوص
فكذلك كل علم فله اصلان مخصوصان وبينهما طريق مخصوص
فى الازدواج يحصل من ازدواجهما العلم المطلوب فالجهل بتلك
الاصول وبكيفية الازدواج هو المانع من العلم ومثاله
ماذكرناه من الجهل بالجهة التى الصورة فيها بل مثاله ان
يريد الانسان ان يرى قفاه مثلا بالمرات فانه اذا رفع
المرات قباله وجهه لم يكن حاذى بها جهة القفا فلا
يظهر فيها القفا وان رفعها وراء القفا وحاذاه كان قد
عدل بالمرات عن عينيه فلا يرى المرات ولا صورة القفا
فيها فيحتاج الى مرات اخرى ينصبها وراء القفا ولهذه
المرات فى مقابلتها بحيث يريها ويراعى مناسبة بين وضع
المراتين حتى تنطبع صورة القفا فى المرات المحاذية للقفا
ثم تنطبع صورة هذه المرات مع مافيها من صورة القفا
فى المرات الاخرى التى فى مقابلة العين ثم تدرك العين
صورة القفا فكذلك فى اصطياد العلوم وطلب ادراك
الاشياء طرق عجيبة فيها انحرافات عن المطلوب اعجب
مما ذكرناه فى المرات فهذه هى الاسباب المانعة للقلوب

من

من معرفة الحقايق والافكل قلب بالفطرة الالهية صالح لادراك
الحقايق وكما ان الشيئ يكون حاضرا بين يدى الانسان واذا
لم يحرك حدقته من جانب الى جانب تحريكات كثيرة لم
بر ذلك الشيئ فكذلك العقل مالم يتحرك من معقول الى
معقول لم يدرك الشيئ على حقيقته وتلك التحريكات
المسمات بالفكر ونظر العقل وكما ان العين الباصرة لايمكنها
ادراك الاشياء الا عند طلوع النيرات كالشمس ونحوها
فكذلك العقل لايقدر على ادراك الحقايق دون خطا
الا اذا طلعت عليه انوار التوفيق والهداية من الله تعالى

الباب الاول فى فضل العلم والعلماء اعلموا ان الانسان
من حيث حصوله فى الحيز والمكان فجسم كساير الاجسام ومن
حيث يتغذى وينسل فنبات ومن حيث يحس ويتحرك بالاختيار
فحيوان ومن حيث صورته وقامه فكالصورة المنقوشة على
الحايط وكما ان الفرس يشارك الحمار فى قوة الحمل ويختص عنه
بخاصية الكر والفر وحسن الهيئة فيكون الفرس مخلوقا لاجل
تلك الخاصية فان تعطلت منه نزل الى مرتبة الحمار فكذلك
الانسان يشارك الجمادات والحيوانات فى امور ويفارقها
فى امور هى خاصيته وبها شرفه فما حصل له الشرف بعظم
شخصه فان الفيل اعظم منه ولا بشجاعته فان الاسد اشجع
منه ولا لاكله فان الجمل اوسع منه بطنا ولا لجماعه فان اخس
العصافير اقوى منه جماعا وانما شرف الانسان وخاصيته
التى يتميز بها عن جميع الموجودات هى العلم وبها كماله اذ كمال
كل شيئ انما يكون بظهور خاصيته التى امتاز بها عن غيره
ونقصانه هو خفاء تلك الخاصية فبقدر ظهور تلك الخاصية
يطلق عليه اسم الكامل وبحسب سترها فيه يخص باسم

الناقص مثلا الخاصية التى امتاز بها الفرس هى الحقيقة الفرسية
ان يكون شديد العدو معتدل القوايم فى الطول والقصر مدركا
لاشارات الراكب من ارادة الكر او الفر او اللملجة او الحضر
او التقريب فاذا ظهرت هذه الخاصية قيل فرس كامل ثم
الاعزاز والاهانة تابعان للكمال والنقصان وخاصية
الانسان هى معرفة حقايق الاشياء على الوجه الذى هى
عليه بحيث يرتفع عن بصيرته حجاب الشك ويتيقن
حقايقها منكشفة له وبكمال هذه الخاصية ونقصانها يفضل
بعض افراد الانسان بعضا الى ان يعد واحد بالف ولم ار امثال
الرجال تفاوتت الى المجد حتى عد الف بواحد وقوله والناس
الف منهم كواحد وواحد كالالف ان امر عنا و لاشى اقبح
من الانسان مع ما فضله الله به من القدرة على تحصيل
الكمال بالعلم ان يهمل نفسه ويعريها من هذه الفضيلة ولم
ار فى عيوب الناس شيا كنقص القادرين على الكمال ولما
كان العلم هو كمال الانسان كان كل انسان محبا للعلم بالطبع
ويشتهيه ويفرح اذا نسب الى العلم ولو قليلا ولو يعلم ان
الذى وصفه بالعلم كاذب ويحزن اذا دفع عن رتبة العلم
ويلتذ الانسان بالعلم لذاته ولكماله لا لمعنى اخر وراء الكمال
ولا يخفى عن اهل العلم انه لا لذة فوق لذته لانها لذة روحانية
وهى اللذة الخالصة من جميع الشوايب المكدرات واما اللذة
الجسمانية فهى عند التحقيق دفع الم اذ لذة الاكل دفع الم الجوع
ولذة الجماع دفع الم امتلاء اوعية المنى به بخلاف اللذة الروحانية
فانها الذ واشهى ولهذا كان بعض العلماء يقول عند ما تنحل له
مشكلات العلوم اين الملوك وابناء الملوك من لهذه اللذة ومن
المعلوم ان اللذات بالاضافة الى الانسان من حيث اختصاصه

بها

بها ومشاركته لغيره ثلاثة انواع عقلية وجسمانية مشتركة مع
بعض الحيوانات وجسمانية مشتركة مع جميع الحيوانات اما العقلية
فالعلم بحقايق الاشياء اذ ليس يستلذ بها السمع والبصر والشم
والذوق ولا البطن وانما يستلذ بها القلب لاختصاصه بصفة
يعبر عنها بالعقل ولهذه اللذة اقل اللذات وجودا وهي اشرف اللذات
اما قلتها فلان العلم لا يستلذ به الا عالم وما اقل اهل العلم والحكمة
وما اكثر المتسمين باسمهم والمرتسمين برسمهم واما شرفها فلانها
لازمة لا تزول ابدا لا في الدنيا ولا في الاخرة ولا تمل والطعام يشبع
منه فيمل وشهوة النكاح يفرغ منها فتستثقل والعلم والحكمة
لا يتصور قط ان تمل وتستثقل والمال يسرق او يحرق والولاية
يعزل عنها والعلم لا تمتد اليه ايدي السراق بالاخذ ولا ايدي
السلاطين بالعزل فيكون صاحبه في روح الامن ابدا واما
قصور اكثر الخلق عن ادراك لذة العلم فلفساد امزجتهم ومرض
قلوبهم لاشتغالهم باتباع الشهوات واستلابها على عقولهم
فان القلب اذا كان صحيحا لا يستلذ الا بالعلم فاذا كان مريضا
بسوء العادات استلذ بغيره كما يستلذ بعض الناس اكل الطين
وكالمريض الذي لا يدرك حلاوة العسل ويراه مرا ومن به ذا
فم من مريض يرا مر به الماء الزلال واما القصور فظنهم اذ لم
تخلق لهم الصفة التي بها يستلذ العلم كالطفل الرضيع الذي
لا يدرك لذة الطيور السمان ولا لذة العسل ولا يطلب الا اللبن
الثانية لذة يشارك الانسان فيها بعض الحيوانات كلذة الرياسة
والغلبة والاستيلاء وذلك موجود في الاسد والنمر وبعض
الحيوانات الثالثة لذة يشارك الانسان بها جميع الحيوانات
كلذة البطن والفرج ولهذه اكثر اللذات وجودا ولهي اخسها
ولذلك اشترك فيها كل مادب وتحرك حتى الديدان

والحشرات ولاجل اللذة والكمال الذى فى العلم صار للانسان ميل
طبعى الى العلم غالبا لكن من الناس من ساعده فهمه ومنهم
من لم يساعده واما عدم الميل الى العلم فلامر عارض كفساد
الطبع او بعد المكان عن الاعتدال والمقصود من هذا معرفة
فضيلة العلم ونفاسته ومالم تفهم الفضيلة فى نفسها لم يمكن
ان يعلم وجود لها صفة للعلم او لغيره من الخصال فلقد غلط من
طمع ان يعلم ان فلانا حكيما ولهو لم يعرف معنى الحكمة وحقيقتها
فالفضيلة ماخوذة من الفضل ولهو الزيادة فاذا تشارك
شيئان فى صفة واختص احدهما بمزيد يقال فضله وله الفضل
عليه فهما كانت زيادة فيما هو كمال ذلك الشيئ كما يقال ان
الفرس افضل من الحمار بمعنى انه يشاركه فى قوة الحمل ويزيد
عليه بقوة الكر والفر وشدة العدو وحسن الصورة فلو فرض
حمار اختص بسلعة زائدة فى ظهره لم يقل انه افضل لان السلعة
زيادة فى الجسم ونقصان فى المعنى وليست من الكمال والحيوان
مطلوب لمعناه وصفاته لا لجسمه فاذا فهمتم هذا لم يخف
عليكم ان العلم فضيله ان اخذتموه بالاضافة الى جميع الحيوانات
اخذتموه بغير اضافة فانه فضيله وكمال على الاطلاق وبه
شرف العلماء والحكماء ولهو المرغوب فيه المطلوب لذاته
لا لغيره وغير خاف عليكم ان الشئ المرغوب فيه ينقسم الى
مايطلب ويرغب فيه لغيره والى مايطلب لذاته ولغيره جميعا
والذى يطلب لذاته اشرف وافضل والمطلوب لغيره الدراهم
والدنانير فانهما لا منفعة لهما ولولا ان الله سهل قضاء ٧٧
الحوايج بهما لكانا والحجر بمنزلة واحدة لانهما لا يدفعان
جوعا ولا بردا ولا حرا بانفسهما واما الذى يطلب لذاته
فالعلم فانه لذيذ فى ذاته واما الذى يطلب لذاته ولغيره فكسلامة

حجران

البدن

البدن فان سلامة الرجل مثلا مطلوبة من حيث انها سلامة
البدن عن الالم ومطلوبة للمشى بها والتوصل الى الحاجات
ومن دلايل شرف العلم ولوازمه احترام العالم فى الطباع
حتى ان اغبياء الترك واخلاف العرب يصادفون طباعهم
مجبولة على توقير شيوخهم لاختصاصهم بعلم زايد مستفاد
من علم التجارب والبهائم بطباعها توقر الانسان لشعورها
بتميز الانسان بكمال مجاوز لدرجاتها واذا ثبت فضيلة العلم
كان تعلمه افضل وبيانه ان مقاصد الخلق مجموعة فى انتظام
الدين والدنيا ولانظام للدين الا بانتظام الدنيا وليس ينتظم
امر الدنيا الا باعمال الادميين واعمالهم وصناعاتهم وحرفهم
تنحصر فى ثلاثة اقسام احدها اصول لاقوام الدنيا الا بها
وهى اربعة الزراعة وهى للمطعم والحياكة وهى للملبس والبناء
وهو للمسكن والسياسة وهى للتالف والاجتماع والتعاون
على اسباب المعيشة القسم الثانى ما هى مهياة لكل واحدة من
هذه الصناعات وخادمة لها كالحداثة فانها تخدم الزراعة
وجملة من الصناعات باعداد الاتها وكالحلاجة والغزل فانها
تخدم الحياكة باعداد عملها القسم الثالث ما هى متممة للاصول
كالطحن والخبز للزراعة وكالقصارة والخياطة للحياكة وذلك
بالاضافة الى قوام امر العالم الارضى مثل اجزاء الشخص بالاضافة
الى جملته فانها ثلاثة اقسام اما اصول كالقلب والكبد والدماغ
واما خادمة لها كالمعدة والعروق والشرايين والاعصاب
والاوردة واما مكملة لها ومزينة كالاظفار والحاجبين واشرف
الصناعات اصولها واشرف اصولها السياسة ولذلك تستدعى
لهذه الصناعة من الكمال فيما يتكفل بها ما لا تطلبه سائر الصناعات
فلذلك يستخدم صاحب هذه الصناعة جميع اصحاب الصناعات

والسياسة على مرتبتين سياسة الملوك والسلاطين وتصرفهم
في الخاصة والعامة ولكن في ظواهرهم فقط لا في بواطنهم والثانية
العلماء وتصرفهم في بواطن الخاصة ولا تنتهي قوتهم الى التصرف
في ظواهرهم بالالزام والقهر وتشرف العلوم والصناعات
يدرك بثلاثة امور اما بالالتفات الى الالة التي يتوصل بها الى
معرفتها كفضل العلوم العقلية على العلوم اللغوية اذ تدرك
الحكمة بالعقل واللغة بالسمع والعقل اشرف من السمع واما
بالنظر الى عموم النفع كفضل الزراعة على الصياغة واما بالنظر
الى المحل الذي فيه التصرف كفضل الصياغة على الدباغة اذ محل
احدهما الذهب ومحل الاخر جلد الحيوانات الميتة وغير خاف
ان العلم متصرف في قلوب الناس المتعلمين ويدرك شرف
العلم مطلقا من حيث هو علم بشيئين احدهما شرف الثمرة
والثاني قوة الدليل وذلك كعلم الاحكام الدينية الشرعية وعلم
الطب فان ثمرة علم الدين السلامة في الدار الاخرة ولهي الحيوة
الابدية وثمرة الطب السلامة في الدنيا ولهي سلامة بدنية
منقطعة فيكون علم الدين اشرف لانه سبب لسلامة ابدية
لا تنقطع الثاني كعلم الحساب وعلم النجم فان علم الحساب
اشرف لوثاقة ادلته وقوتها واذا نسب الحساب الى الطب
كان الطب اشرف باعتبار ثمرته والحساب اشرف باعتبار
قوة ادلته وصحتها وملاحظة الثمرة اولى ولذلك كان الطب
اشرف وان كان اكثر الطب بالظن **فصل في تعريف**
العقل اعلموا ان العقل منبع العلم واساسه ومطلعه والعلم
يجري من العقل مجرى الثمر من الشجر والنور من الشمس والرؤية
من العين وكيف يخفى فضل العقل واعظم البهائم بدنا واشد
لهم ضراوة واقواهم سطوة اذا راى صورة الانسان لهابه

لشعوره بفضله عليه واستلائه بسبب ماخص به من ادراك
الحيل واسم العقل يطلق على اربع معان بالاشتراك الاول الوصف
الذى يفارق الانسان به جميع البهائم وهو الذى استعد به
الانسان لقبول العلوم النظرية الثانى هى العلوم التى تخرج
الى الوجود فى ذات الطفل المميز بجوز الجايزات واستحالة
المستحيلات كالعلم بان الاثنين اكثر من الواحد وان الشخص
الواحد لايكون فى مكانين فى ان واحد وتسمية هذه العلوم
عقلا ظاهر فلا تنكر الثالث علوم تستفاد من التجارب بمجارى
الاحوال فان من جرب الامور وهذبه تخالف الاحوال يقال
انه عاقل فى العادة ومن لاينصف به يقال انه غبى جاهل
وهذا نوع اخر من العلم يسمى عقلا الرابع ان تنتهى قوة تلك
الغريزة الى ان يعرف الانسان عواقب الامور ويقمع الشهوة
الداعية الى تناول اللذة المضرة ويقهرها فاذا حصلت هذه
القوة يسمى صاحبها عاقلا من حيث ان اقدامه وتاخره بحسب
مايقتضيه النظر فى العواقب وهذه المعانى الاربعة كلها من
خواص الانسان ولفظ العقل موضوع فى الحقيقة لتلك
الغريزة واطلاقه على العلوم مجاز من حيث انها ثمرتها
وهذه العلوم كانها متضمنة فى تلك الغريزة بالخلقة ولا
تظهر الى الوجود الا اذا جرى سبب يخرجها حتى
كان هذه العلوم ليست بشيئ وارد عليها من خارج
وكانها كانت مستكنة فيها فظهرت ومثاله الماء فى الارض
فانه يظهر بالحفر ويجتمع ويتميز بالحس لا بان يساق
اليه شيئ جديد وكذلك الدهن فى اللوز وماء الورد
فى الورد فكل ادمى خلق مجبولا على معرفة الاشياء على ماهى
عليه اعنى انها كالمتضمنة فيه لقرب استعداده للادراك

ثم لما كانت معرفة الاشياء مركوزة فى النفوس بالخلقة انقسم
الناس الى من اعرض فنسى ولهم الجهال والى من اجال
خاطره فتذكر ولهم العلماء فكان لهذا القسم كمن حمل شهادة
فنسيها بسبب الغفلة ثم تذكرها وحصول لهذه العلوم
للانسان لها درجتان احديهما ان يشتمل قلبه على العلوم
الضرورية الظاهرية فتكون العلوم النظرية فيه غير
حاصلة الا انها صارت قريبة الحصول ويكون حاله بالاضافة
الى العلوم كحال الكاتب الذى لا يعرف من الكتابة الا الدوات
والقلم والحروف المفردة دون المركبة فانه قد قارب الكتابة
ولم يبلغها الثانية ان تحصل له العلوم المكتسبة بالتجارب
والفكر فتكون كالمخزونة عنده فاذا شاء رجع اليها وحاله حال
الحاذق بالكتابة اذ يقال له كاتب وان لم يكن مباشرا للكتابة
لقدرته عليها وفى لهذه الدرجة مراتب لا تحصى يتفاوت
العلماء فيها بقلة المعلومات وكثرتها وشرف المعلومات
وخستها واعلموا ان العقول متفاوتة بحسب خلقة الله
تعالى التى خلق الناس عليها فعقول الانبياء ليست كعقول
سائر الناس وعقل ابى على بن سينا فايق على كثير
من العقول يحكى ان الرازى قال يوما للامدى لم حسن الهلاك
الحيوانات وذبحها للانسان فقال له الامدى الهلاك المفضول
لمصلحة الفاضل هو عين العدل فقال له الرازى اذا يحسن
ذبحك انت لابى على ابن سينا والتفاوت حاصل فى الاقسام
التى يطلق عليها اسم العقل الا العلم بالضروريات فانه
لا يحصل فيه تفاوت بين العقلاء وكل من يدركه يدرك
ادراكا محققا من غير شك واما قسم علم التجارب فتفاوت
الناس فيه لا ينكر فانهم متفاوتون بكثرة اصابة الراى وسرعة

الادراك ويكون سببه اما تفاوت فى الغريزة واما تفاوت
فى ممارسة الامور واما قسم استيلاء القوة العقلية على قمع
الشهوات فلا يخفى تفاوت الناس فيه ويكون سببه التفاوت
فى العلم المعرف بضرر تلك الشهوة ولهذا يقدر الطبيب على
الاحتماء عن بعض الاطعمة المضرة وقد لا يقدر على ذلك
من يساويه فى العقل اذا لم يكن طبيبا وان كان يعتقد فيه
مضرة على الجملة ولكن لما كان علم الطبيب اتم كان خوفه اشد
فيكون الخوف معينا للعقل على قمع الشهوات المضرة واما
قسم الغريزة التى قلنا انه الاصل فالتفاوت فيه لا طريق
الى جحده فانه مثل نور يشرق على الانسان ويطلع صبحه
ومبادى اشراقه عند سن التميز وهو تمام الاسبوع الاول
اعنى سبع سنين ثم لا زال ينمو ويزداد على التدريج الى ان
يتكامل بقرب الاربعين سنة ومثاله نور الصبح فان
اوائله تخفى خفاء يشق ادراكه ثم يتدرج الى الزيادة الى ان يكمل
بطلوع قرص الشمس وعادة الله جارية فى جميع مخلوقاته
بالتدريج وكيف ينكر تفاوت الناس فى الغريزة ولو لا تفاوتها
لما اختلف الناس فى فهم العلوم ولما انقسموا الى بليد لا يفهم
بالتفهيم الا بعد تعب طويل من المعلم والى ذكى يفهم باقل
اشارة والى كامل يدرك حقايق الاشياء دون تعليم فانقسام
الناس الى من يتنبه من نفسه ويفهم والى من لا يفهم الا
بتنبيه وتعليم والى من لا ينفعه التعليم ولا يفيده التنبيه
كانقسام الارض الى ما يجتمع فيه الماء ويقوى فيتفجر بنفسه
عيونا والى ما يحتاج الى الحفر ليخرج الماء فى الابار والى ما لا ينفع
فيه الحفر وهو اليابس وذلك لاختلاف جواهر الارض
فى صفاحتها فكذلك لهذا الاختلاف فى النفوس فى غريزة العقل

والسبب الظاهر بحسب العادة التى اجراها الله باختياره وبما
دل عليه الاستقراء فى اختلاف الناس فى عقولهم واخلاقهم
وسيرهم احوال الشمس فى الحركة فان الناس على ثلاثة
اقسام احدها الذين يسكنون تحت خط الاستواء الى ما يقرب
من المواضع التى يحاديها ممر راس السرطان واسمهم
العام والسودان ولاجل ان الشمس تمر على رؤسهم امامرة او مرتين
فى السنة صارت ابدانهم وشعورهم سوداء وهم اضعف الناس
عقلا واوحشهم اخلاقا واما الذين مساكنهم اقرب الى محاذات
ممر راس السرطان فعقولهم اكمل من الذين قبلهم والسواد
فيهم اقل وطبائعهم معتدلة واخلاقهم مؤنسة واجسامهم
نضيفة وهم اهل الهند واليمن وبعض المغاربة وكل العرب واما
القسم الثانى من اهل الارض فهم الذين مساكنهم على راس
ممر السرطان الى محاذات بنات نعش وهم سكان وسط هذه
المعمورة وهو المسمى بايران شهر كاهل العراق والشام
وخراسان واصبهان فهم اكمل الناس عقلا والطفهم اذهانا
وهم مختلفون فى الكمال ويليهم فى الكمال سكان فرانس فانهم
وسط الاقليم الخامس ويليهم فى الكمال اهل الاندلس فان
بلادهم اخذت من الاقليم الخامس والسادس واما القسم
الثالث من سكان الارض فهم الذين مساكنهم محاذية لبنات
نعش وهم الروس والصقالبة فعقولهم ناقصة واخلاقهم
وحشية وطبائعهم باردة لكثرة بعدهم عن حر الشمس صار البرد
عليهم اغلب والرطوبات اكثر لانه ليس هناك ما ينشفها
وينضجها فلذلك صارت الوانهم بيضاء وشعورهم شقراء
سبطة وابدانهم عظيمة رخوة تكملة قوة العقل هى احدى
القوى الاربع التى اذا اعتدلت فى الانسان يكون انسانا كاملا

وهى

وهى قوة العقل وقوة الشجاعة وقوة العفة وقوة العدل فقوة
العقل هى حالة للنفس بها يدرك الصواب من الخطا فى جميع الاحوال
والعدل حالة للنفس بها يسوس الغضب والشهوة ويحملها على
مقتضى العقل فى الاسترسال والانقباض والشجاعة كون قوة
الغضب منقادة للعقل فى اقدامها واحجامها والعفة نادت
قوة الشهوة بتاديب العقل والشرع فمن اعتدال هذه القوى
الاربعة تصدر الاخلاق الجميلة كلها فمن اعتدال قوة العقل
يحصل حسن التدبير وجودة الذهن وثقابة الراى واصابة
الظن والتفطن لدقايق الامور ومن افراطها المذموم تحصل
الصفات المذمومة والاخلاق القبيحة مثل المكر والحقد والخداع
والدها والحيلة ومن تفريطها المذموم ايضا تصدر الصفات
المذمومة مثل البلة والغباوة والغمادة والحمق والجنون واعنى
بالغمارة قلة التجربة فى الامور مع سلامة التخيل والجنون عبارة
عن اختلال القوة العقلية المميزة بين الامور الحسنة والقبيحة
المدركة للعواقب بان لا يظهر اثرها وتتعطل افعالها اما بسبب
نقصان خلق عليه واما بسبب خلط او افة والفرق بين الحمق
والجنون ان الحمق مقصوده صحيح ولكن سلوكه الطريق
فاسد فلا تكون له رؤية صحيحة فى سلوك الطريق الموصل
الى الغرض واما الجنون فانه يختار ما لا ينبغى ان يختار فيكون
اصل اختياره فاسد واما الشجاعة فيصدر عنها الكرم والنجدة
والشهامة وكسر النفس والاحتمال والحلم والثبات وكظم
الغيظ والوقار والتودد الى الناس وامثالها ولهى صفات
محمودة واما افراط هذه القوة ولهو مذموم فيحصل منه
التهور والصلف والبذخ والتكبر والعجب والاستشاطة
واما تفريطها ولهو مذموم ايضا فيصدر منه المهانة والمذلة

والجزع والحساسة وصغر النفس والانقباض عن تناول الحق
اللازم واما العفة فيصدر منها السخا والحيا والصبر والمسحة
والقناعة واللطافة والمساعدة والضرف وقلة الطمع واما
خروجها عن الاعتدال الى الزيادة والنقصان فيحصل منه
الحرص والشرة والوقاحة والتبذير والتقتير والرياء والشماتة
والتذلل للاغنياء واحتقار الفقراء وغير ذلك فامهات
الفضايل من هذه الاربعة العلم والشجاعة والعفة
والعدل فمن جمع هذه الاربعة على الكمال استحق ان
يكون بين الخلق ملكا مطاعا يرجع الخلق كلهم اليه ويقتدون
به ومن تعرى عن هذه الاربعة كلها واتصف باضدادها
استحق ان يخرج من بين العباد ويطرد من البلاد تنبيه
من الظاهر البين عند اصحاب العقول السليمة ان
النفس انما دخلت هذا العالم الجسماني لتكسب العلم النافع
والعمل الصالح واشرف العلوم النافعة معرفة الله تعالى
ومعرفة حكمته في افعاله وفي خلق السماوات والارض
وما فيهما وما بينهما ولهذه المعرفة لا تدرك بحاسة من
الحواس وانما تدرك بالعقل فكان العقل لهذا اشرف
ومدركاته اشرف ولما كان البدن مركبا للنفس
والة التحصيل الاعمال الصالحة خلق الله للانسان
الحواس الظاهرة والباطنة واكرمه بالعقل الذي اشرف
من الكل فخلق له حاسة اللمس حتى اذا مسته نار محرقة
او سيف جارح احس بذلك وهرب ولهذا اول حس
يخلق للحيوان فلو لم يحس اصلا لم يكن حيوانا واقل درجات
الاحساس ان يحس بما يلاصقه ويماسه فان الاحساس
بما يبعد منه احساس اتم ولهذا موجود في كل حيوان

ولولم يخلق للانسان الا هذا الحس كان ناقصا لا يقدر على
طلب الغذاء من حيث يبعد عنه بل ما يماس بدنه يحس
به فيجتذبه الى نفسه فقط فافتقر الى حس يدرك
ما بعد عنه فخلق له الشم لانه يدرك به الرايحة ولا
يدرى من اى جهة جاءت فيحتاج الى ان يطوف كثيرا من
الجوانب وقد يعثر على الغذاء الذى شم رايحته وقد لا يعثر
فيكون ناقصا لو لم يخلق له الادراك فخلق له البصر ليدرك
به ما بعد عنه ويدرك جهته فيقصد تلك الجهة بعينها
الا انه لو لم يخلق له الا هذا لكان ناقصا اذ لا يدرك ما وراء
الجدرات والحجب فخلق له السمع حتى يدرك به الاصوات
من وراء الجدرات والحجب عند جريان الحركات لانه لا يبصر
الاشياء حاضرا وكل هذا ما كان نافعا له لو لم يكن له
حس الذوق اذ يصل الغذاء اليه فلا يدرك انه موافق
له او مخالف فيا كله فيهلك كالشجرة تصيب فى اصلها
كل ما يع ولا ذوق لها فتجزبه وربما يكون ذلك سبب
هلاكها ويبسها وكل هذا لا يكفيه لو لم يخلق فى مقدمة
دماغه ادراك اخر يسمى حسا مشتركا تنادى اليه هذه المحسوسات
وتجتمع فيه فانه اذا اكل شيئا اصفر مثلا فوجده مرا غير
موافق له فتركه فاذا راه مرة اخرى فلا يعرف انه مضر
مر ما لم يذقه ثانيا لو لا الحس المشترك لان العين تبصر
الصفرة ولا تدرك المرارة والذوق يدرك المرارة ولا يدرك
الصفرة فلا بد من حاكم تجتمع عنده الصفرة والمرارة جميعا
حتى اذا راى الصفرة حكم بانه مر فيمتنع عن تناوله ثانيا
وهذا كله تشاركه فيه الحيوانات اذ للشاة هذه الحواس
فلو لم يكن له الا هذا لكان ناقصا لان هذه الحواس انما هى للحاضر

فاما الغايب وادراك العواقب فلا ولما حصل المقصود الاعظم
من خلق الانسان وهو معرفة خالقه وعبادته لان العبادة
لاتكون لمن لايعرف فاكرم الله الانسان وميزه بصفة
اخرى اشرف من الكل وهى العقل فيه يعرف الانسان
خالقه ويدرك المنافع والمضار فى الحال والمال اذ نفع الحواس
وابعدها مدركا العين الباصرة والعقل اشرف منها لان
البصر لايدرك نفسه ولا يدرك ادراكه ولا يدرك الته
اما انه لايدرك نفسه ولا ادراكه فلان القوة الباصرة
وادراكها ليسا من الامور المبصرة بالعين الباصرة واما
انه لايدرك الته فلهى العين والقوة الباصرة فى العين
لاتدرك العين واما العقل فانه يدرك نفسه ويدرك
ادراكه ويدرك الته فى الادراك وهى القلب والدماغ
وايضا البصر لايدرك الكليات والعقل يدركها ومدرك
الكليات اشرف من مدرك الجزئيات اما ان البصر لايدرك
الكليات فلان البصر لو ادرك كل ما فى الوجود فهو ما ادرك
الكل لان الكل عبارة عن كل ما يمكن دخوله فى الوجود
فى الماضى والحال والاستقبال واما ان العقل يدرك الكليات
فلانا نعرف ان الاشخاص الانسانية مشتركة فى الانسانية
ومتمايزة بخصوصياتها ومابه المشاركة غير مابه الممايزة
فالانسانية من حيث هى انسانيه مغايرة لهذه الشخصات
واما ان ادراك الكليات اشرف فلان ادراك الكليات
ممتنع التغير وادراك الجزئيات واجب التغير ولان
ادراك الكلى يتضمن ادراك الجزئيات الواقعة تحته
لان ماثبت للماهية يثبت لجميع افرادها وايضا الادراك
الحسى غير منتج فلان من احس بشيئ لايكون ذالك الاحساس

سبب الحصول احساس اخر بل لو استعمل الة الحس مرة لاحس
به مرة اخرى وذلك لايكون انتاج الاحساس لاحساس اخر
واما ان الادراك العقلى ينتج فلانا اذا عقلنا امورا ثم ركبناها
فى عقلنا توسلنا بتركيبها الى اكتساب علوم اخر وايضا الادراك
الحسى لايسع الامور الكثيرة والعقل يتسع لها اما ان الحس
لايتسع لها فلان البصر اذا توالى عليه الوان كثيرة التبست
عليه فادراك لونا كانه حاصل من اختلاط هذه الالوان
والسمع اذا توالت عليه اصوات كثيرة التبست عليه
ولم يحصل التميز والعقل يتسع لها فلان كل من كان تحصيله
للعلوم اكثر كانت قدرته على كسب الجديد اسهل لانه
مهما حصلت معرفة اخرى وازدوجت مع معرفة اخرى
حصل من ذلك نتاج اخر وهكذا يتمادى الانتاج وتتمادى
العلوم لكن هذا لمن يقدر على استثمار العلوم ويهتدى الى
طريق التفكر وانما منع اكثر الناس من زيادة العلوم لفقدهم
راس المال وهو المعارف التى تستثمر العلوم كالذى لاراس
مال معه فانه لايقدر على الربح وقد يملك راس المال
ولكن لايحسن صناعة التجارة فلا يربح شيئا فكذلك قد يكون
مع الانسان ما هو راس مال العلوم ولكن لايحسن استعمالها
وتاليفها وايقاع الازدواج المفضى الى النتاج وايضا البصر
لايدرك الشبكى المرائى مع غاية القرب ولا مع غاية البعد
والعقل عنده القرب والبعد سواء فانه يدرك ما فوق
السماوات وما تحت الارض ويدرك ذات الله تعالى مع كونه
مقدسا عن القرب والبعد والجهة وايضا الحس قد يقع فى
ادراكه الغلط كثيرا فانه يدرك المصغير كبيرا كالنار البعيدة
فى الظلمة وكالعنبة فى الماء ترى كالاجاصة وكالنقطة من النار

اذا كانت على راس عود وحركته باستقامة فانه يرى خطا
ممدودا من نار واذا حركته على دايرة بسرعة يرى دايرة من
نار ولا وجود لهما اصلا ويرى المعدوم موجودا كالسراب
في الصحراء فانه يرى ماء ويرى المتحرك ساكنا كالظل يراه
ساكنا وهو متحرك ويرى الثلج ابيض ولا بياض فيه اصلا
فانه مركب من اجزاء شفافة لا لون لها وفي الاجزاء المائية
الرشية فلولا العقل لكان معتقد صحة ما ادركه حسه مخطاء
خطا فاحشا ولهذا قال افلاطون وارسطو وبطليموس وجالينوس
الحسيات غير يقينية بمعنى ان حزم العقل بالحسيات ليس
بمجرد الحس بل لا يدمع الاحساس من امور تنظم الى الحس لا نعلم
ما هي وحينئذ يجزم العقل بما جزم به من المحسوسات ولهذه
القوة العقلية باعتبار ادراكها للكليات والحكم بينها بالنسبة
السلبية او الايجابية تسمى العقل النظري وباعتبار استنباطها
للصناعات الفكرية مما ينبغي ان يفعل او يترك تسمى العقل
العملي وقد اعتنى علماء افرانسا ومن حذا حذوهم باستعمال
العقل العملي وتصريفه فاستخرجوا الصنايع العجيبة والفوايد
الغريبة فاقوا بها المتقدمين واعجزوا المتاخرين رقوا بها
اعلا المراقي وحصل لهم بها الذكر الباقي فلو استعملوا مع
هذا العقل النظري في معرفة الله وصفاته وفي معرفة حكمته
في خلق السموات والارض وما يلزم للاله من الكمال وما يتقدس
عنه من النقص وما يمكن في حقه ان يفعله وان لا يفعله
لكانوا حازوا المرتبة التي لا تدرك والمزية التي لا تشرك
ولكنهم اهملوا استعمال هذه القوة النظرية حتى انهم لا يسمع
منهم لها ذكر ولا يعثر عليها في كتبهم ناظر حتى لقد حكي
عن بعض علماء الوقت الان انه قال ان الضوء يمشي من الجسم

المضئ الى مايقابله من الاجسام كذا وكذا ميتره فى كذا وكذا ثانية
او دقيقة وتلقى العامة منه لهذا القول بالقبول فلو استعمل
لهذا العالم قوته النظرية فى حقيقة لهذا الضوء لم يحكم بانتقاله
لان الضوء لا يخلوا اما ان يكون جسما او عرضا ولا ثالث
لهما فلو كان الضوء يمشى من الجسم المضئ الى مايقابله
من الاجسام كان لاينتقل الا بانتقال الجسم الذى قام به
ذلك العرض باتفاق العقلاء اذ حقيقة العرض لهو ما لا
يقوم بنفسه ولو كان الضوء جسما كان لا يداخل الاجسام
ولو دخل الضوء الى من طاق فسد لنسان الطاق دفعة
واحدة كان يلزم ان تبقى الاجسام المضيئة فى البيت
على تقدير ان الضوء جسم وهو غير واقع بالمشاهدة وانما
حقيقة الضوء عرض يحدث فى ظاهر الجسم الكثيف من مقابلة
الجسم المضئ له اذا كان بينهما جسم شفاف وانما يحدث ذلك
الضوء من السبب التى يحدث منه ضوء الجسم المضئ كالشمس
والسراج فالذى يخلق الضوء فى الجسم المضئ يخلق الضوء فى
الجسم المقابل له فالضوء عرض يحل فى الجسم الكثيف ولا يحل
فى الهواء كما توهمه قوم بدليل ان القاعد فى غار طويل فى الجبل
لا يدرك بالليل ولا بالنهار خارج الغار والهواء يدخل الغار
بلا شك خاتمة العلوم تنقسم الى ما لهو محمود والى
ما لهو مذموم فالعلم المحمود ما يرتبط به مصالح الدين والدنيا
كالطب والحساب وكل علم لا يستغنى عنه فى قوام امر الدين
والدنيا كاصول الصناعات من الفلاحة والحياكة والسياسة
بل الحجامة من العلوم اللازمة فلو خلا البلد عن الحجام تسارع
الهلاك الى اهل ذلك البلد فان الذى انزل الداء انزل الدواء
وارشد الى استعماله واعد الاسباب لتعاطيه فيقبح التعرض

للهلاك ومن المعلوم ان الانسان مدنى بالطبع فهو محتاج الى
التمدن والاجتماع مع ابناء جنسه ومهما اجتمع الناس فى المنازل
والبلاد وتعاملوا تولدت بينهم خصومات اذ تحدث رياسة
الزوج على الزوجه ورياسة الابوين على الولد لانه ضعيف
يحتاج الى من يقوم عليه ومهما حصلت الرياسة على عاقل افضى
الى الخصومة بخلاف الرياسة على البهائم اذ ليست لها قوة
المخاصمة ولو ظلمت اما المراة فتنازع الزوج واما الولد فينازع
الابوين هذا فى المنزل واما اهل البلد فيتعاملون فى الحاجات
ويتنازعون فيها ولو تركوا كذلك لتقاتلوا وهلكوا وكذلك
الرعاة وارباب الفلاحة يتنازعون على الاراضى ثم قد يعجز بعض
الناس عن الصناعة بعمى او مرض او هرم ولو ترك ضايعا لهلك
ولو وكل تفقده الى الجميع لفرطوا ولو خص واحد من غير
سبب يخصه لكان لا يذعن له بحدث من هذه الامور الحاصلة
بالاجتماع علوم منها علم المساحة التى بها تعرف مقادير الارض
لتتمكن القسمة بينهم بالعدل ومنها علم الجندية لحراسة
البلد بالسيف ومنها صناعة الحكم لفصل الخصومات ومنها
علم القانون الذى ينبغى ان يضبط به الخلق ويلزموا الوقوف
على حدوده حتى لا يكثر النزاع ولهذه امور مخصوصة لا يقوم
بها الا مخصوصون بالعلم والتميز واذا اشتغلوا بها لم يتفرغوا
لصناعة اخرى ويحتاجون الى المعاش ويحتاج اهل البلد
اليهم اذ لو اشتغل اهل البلد بالحرب مع الاعداء مثلا تعطلت
الصناعات ولو اشتغل اهل الحرب والسلاح بالصناعات
وطلب القوت تعطلت البلاد عن الحراس وهلكت الناس
فلزم ان يمدهم اهل البلد باموالهم ليحرسوهم فتحدث الحاجة
الى الخراج ثم يتولد بسبب الحاجة الى الخراج علوم اخر اذ

يحتاج

يحتاج الى من يوصف الخراج بالعدل على ارباب الاموال ولهم
العمال والى من يستوفى منهم بالرفق ولهم الجبات والى من يجمع
عنده الى وقت التفريقة ولهم الخزان والى من يفرق بالعدل
ولهو الفارض للعساكر ولهذه الاعمال لو لا تولاها اناس كثيرون
لا يجمعهم انسان واحد لانخرم النظام فحدثت الحاجة الى
ملك يدبرلهم بالعلوم السياسة التى تلزم معرفتها كل ملك
فيكون الخلق كلهم بالنسبة الى العلوم المحتاج اليها ثلاثة طوايف
الفلاحون والمحترفون والثانية الجند الحماة بالسيوف
والثالثة المترددون بين الطايفتين بالاخذ والعطا ثم حدث
بسبب البيع والشراء الحاجة الى التقدير فان من يريد ان
يشترى طعاما بثوب فمن اين يدرى المقدار الذى يساويه
من الطعام كم لهو فلا بد من حاكم عدل يتوسط بين المتبايعين
بعدل احدلهما بالاخر فيطلب ذلك العدل من اعيان الاموال
ويحتاج الى ما يطول بقاؤه وابقى الاموال المعادن فاتخذت
النقود من الذهب والفضة والنحاس فحدثت الحاجة الى دار
الضرب والنقش والتقدير وعلم المعادن واستخراجها
وتصفيتها فهذه هى علوم الخلق ولهى معايشهم وكلها محمودة
ثم ان لهذه العلوم لا تمكن مباشرتها الا بالتعلم والتعب فى الابتداء
وفى الناس من يغفل عن ذلك فى الصبا فلا يشتغل به او يمنعه
مانع فيبقى جاهلا وعاجزا عن العلوم التى يكتسب بها فيحتاج
الى ان ياكل مما سعى فيه غيره فيحدث لذلك حرفتان خسيستان
مذمومتان ولهما اللصوصية والكدية ثم ان الناس يحرزون
اموالهم عن اللصوص والمكدين فاحتاجوا الى صرف عقولهم
فى استنباط الحيل والتدابير اما اللصوص فمنهم من يطلب اعوانا
وتكون له شوكة فيجتمعون ويقطعون الطريق كالاعراب

والاكراد ومن فعل فعلهم واما الضعفاء فيستعملون الحيل
اما بنقب الدور والاسوار او الصعود عليها وقت غفلة الناس
او يكون طرارا واما المكدين فانه اذا طلب ما سعى فيه غيره
وقيل له اعمل وكل ومالك والبطالة فاحتاج المكدون الى حيلة
فى استخراج اموال الناس فمنهم من يظهر العمى والفالج والمرض
وهو خال عن ذلك سببا للرحمة عليه ومنهم من يظهر اقوالا
وافعالا يتعجب الناس منها حتى تنبسط قلوبهم عند مشاهدتها
فيسخون لهم بالمال وذلك بالتمسخر والمحاكات والافعال
المضحكة وقد يكون بالاشعار الغريبة مع حسن الصوت والشعر
الموزون له تاثير فى النفس ويدخل فى هذا الوعاظ الذين يصعدون
المنابر اذا لم يكن وراء كلامهم علم نافع وليس مرادهم الا اكتساب
الدينار والدرهم واما العلم المذموم فاعلموا وفقكم الله ان العلم
لا يذم لعينه من حيث انه علم اذ لا شئ من العلوم من حيث
انه علم بضار ولا شئ من الجهل من حيث انه جهل بنافع
لان فى كل علم منفعة اما فى المعاد او فى المعاش او الكمال الانسانى
اذ كل علم يفيد النظر فيه عقلا مزيدا وجميع العلوم الصناعية
والنظرية تفيد عقلا وانما يذم بعض العلوم لاحد اسباب
اما لكونه مؤديا الى ضرر اما بصاحبه او بغيره كعلم السحر
والطلسمات وهو حق صحيح شهدت بصحته المشاهدة وهو
علم يستفاد من العلوم بخواص الجواهر وبامور حسابية فى
مطالع النجوم فيحدث من مجموع ذلك بحكم اجراء الله
العادة احوال غريبة وتاثيرات عجيبة اعنى ان تاثير النفوس
البشرية فى عالم العناصر ان كان بغير معين من الامور السماوية
فهو السحر وان كان بمعين من الامور السماوية فهو الطلسمات
ومعرفة هذه الاسباب من حيث انه معرفة ليست مذمومة

ولكنها

ولكنها ليست تصلح الا لاضرار بالخلق وكانت لهذه العلوم
في اهل بابل من السريانيين والكلدانيين وفي اهل مصر من
القبط وغيرهم وكان لهم فيها التاليف الكثيرة ولهذا العلم
مهجور في الملة الاسلامية ولم يترجم لنا من كتبهم الا القليل
الى ان ظهر بالمشرق جابر بن حيان كبير السحارة في هذه
الملة فتصفح لهذا العلم واستخرج الصناعة ووضع فيها التاليف
واكثر الكلام فيها وفي صنعة الكيمياء لانها من توابعها لان
احالة الاجسام النوعية من صورة الى اخرى انما تكون بالقوى
النفسانية لا بالصناعة العملية واما كون المتعلم يقصد بالعلم
فوق غايته كمن يقصد بعلم النجم الاطلاع على المغيبات والحوادث
الاتية وغاية علم النجم الاهتداء في ظلمات البر والبحر وتسيير
الشمس والقمر والمنازل والبروج للاستعانة على الزراعة ونحوها
واقل احوال من يقصد بعلم النجم الاطلاع على المغيبات انه
خوض في فضول لا ينفع فان المقدور واقع والاحتراز منه غير
ممكن واحكام النجوم ظن خالص والحكم بالظن حكم بجهل وما
يتفق من اصابة منجم على الندور انما هو اتفاقي لان المنجم
يطلع على بعض الاسباب ولا يحصل المسبب عقبها الا بعد
شروط كثيرة لا يطلع المنجم عليها فان قدر الله بقية الاسباب
وقعت الاصابة وان لم يقدر اخطاء ويكون ذلك كظن
الانسان ان السماء تمطر اليوم اذا راى السحاب يجتمع وينبعث
من الجبال وربما يجيء النهار بالشمس ويذهب السحاب وربما
يكون المطر فالمنجم باستدلاله بالنجم على الحوادث كاستد
الطبيب بالنبض على ما سيحدث من المرض فتارة يكون
وتارة لا يكون مع ان الطب اكثر اسبابه مما يطلع الاطباء عليها
واما كون العلم عزيز المنال رفيع المرقى ويتعاطاه من ليس

الباب الثانى فى اثبات العلم الشرعى

اعلموا وفقكم الله ان العقل وان بلغ من الشرف والاطلاع على حقايق الاشياء مابلغ فثم علوم لايصل اليها ولايهتدى الى الاطلاع عليها الا بتصديق الانبياء واتباعهم والانقياد اليهم بمعنى ان علوم الانبياء زايدة على علم العقل الذى قلنا انه متضمن فى غريزة العقل يجده مهما صرف عقله فى اكتسابه والعقل مع عزله عن علوم الانبياء الاباتباعهم مستعد لقبول علومهم والانقياد اليها والاستحسان لها مهما عرفوه اياها وبيان ان ثم علوم زايدة وراء علم العقل ان الله تعالى خلق الانسان خاليا لاخبر له عن مخلوقات الله وهى كثيرة لايحيط بها الا خالقها فيخلق له حاسة اللمس فيدرك بها الملموسات وهى اجناس كثيرة ولا تدرك الاصوات ولا الالوان فهى كالمعدومة فى حقه ثم يخلق له البصر فيدرك به بعض الموجودات الى ان يتجاوز المحسوسات فيخلق فيه التميز وهو طور اخر فيدرك به امورا وراء المحسوسات لايوجد شئ منها فى المحسوسات ثم يترقى الى طور اخر وهو طور العقل فيدرك به امورا لاتوجد فى الاطوار التى قبله ووراء العقل طور اخر وامور اخر العقل معزول عنها ولايصل اليها بنفسه بل بغيره كما عزلت الحواس عن مدركات العقل فالعلوم التى تحل فى العقل تنقسم الى عقلية وشرعية اما العقلية فنعنى بها ما تحكم به غريزة العقل من غير تقليد وسماع وهى تنقسم الى ضرورية كعلم الانسان لايكون فى مكانين فى ان واحد وبان الشئ لايكون موجودا معدوما ولهذه علوم يجد الانسان نفسه عارفا بها ولايدرى من اين حصل له ذلك اعنى لايدرى سببا قريبا والا فليس يخفى ان الله هو الذى

خلقه

خلقه وهداه اليه والى علوم مكتسبة وهى المستفادة بالتعلم
والاستدلال والنظر واما العلوم الشرعية فهى الماخوذة
عن الانبياء وذلك يحصل بالتعلم لكتب الله المنزلة مثل
التورية والانجيل والزبور والفرقان وفهم معانيها بعد
السماع وبها يكمل العقل ويسلم من الامراض فالعلوم العقيلة
غير كافية فى السلامة وان كانت محتاجا اليها كما ان
العقل غير كاف فى استدامة صحة البدن بل يحتاج الانسان
الى معرفة خواص الادية والعقاقير بطريق التعلم من الاطباء
اذ مجرد العقل لا يصل اليه ولكن لا يمكن فهمه بعد سماعه
الا بالعقل فلا غنى بالعقل عن العلوم الشرعية ولا غنى بها
عن العقل فالذى يدعى الناس الى التقليد المحض مع عذل
العقل جاهل والمكتفى بمجرد العقل عن العلوم الشرعية
مغرور فاياكم ان تكونوا من احد الفريقين وكونوا جامعين
بينهما فان العلوم العقلية كاغذية والعلوم الشرعية كالادوية
والشخص المريض يتضرر بالغذاء اذا فاته الدواء وقلوب
الخلق كلها مرضى ولا علاج لها الا بالادوية التى ركبها
الانبياء وهى وضايف العبادات فمن اكتفى بالعلوم العقلية
تضرر بها كما يتضرر المريض بالغذاء كما وقع لبعض النا س
فانهم قالوا الانسان اذا حصل له المعقول واثبت للعالم
صانعا وصل الى الكمال المطلق فتكون سعادته على قدر علمه
وشقاوته على قدر جهله وعقله هو الذى يوصله الى هذه
السعادة واياكم ان تظنوا ان العلوم الشرعية مناقضة ومنا فرة
للعلوم العقلية بل كل شيئى جاء عن الانبياء مما شرعوه للناس
لا يخالف العقول السليمة نعم تكون فى شرايع الانبياء ما تستبعده
العقول لقصورها عنه فاذا عرفت طريقه عرفت انه الحق

الذى لاينبغى العدول عنه مثاله فى شرع الاسلام الذهب
والفضة فان الشرع يمنع من اختزانهما من غير اعطاء بعضها
للفقراء والمساكين ويمنع من اتخاذ الاوانى للاكل والشرب
منها ويمنع من بيع الذهب بالذهب والفضة بالفضة فاذا
قيل لانسان اعط بعضها للفقراء والاتحرق بالنار يقول
انا تعبت وجمعتها فكيف اعطيها من كان نائما مستريحا هذا
خارج عن العقل واذا قيل له لاتاكل ولاتشرب فى اوانى الذهب
والفضة والاتحرق بالنار يقول انا اتصرف فى ملكى ولاانازع فى
فيه احد فكيف اعاقب على التصرف فى ملكى هذا خارج عن
العقل واذا قيل له لاتبع الذهب بالذهب ولا الفضة بالفضة
بزيادة والاتحرق بالنار يقول انا ابيع واشترى برضى منى ومن
الذى اتعامل معه ولولا البيع والشراء لخربت الدنيا
وتعطلت المنافع هذا شئ خارج عن العقل وكلامه هذا صحيح
فان العقل غير مدرك للعقاب على هذه الامور فيحتاج العقل
الى التعريف فيقال له الحكمة التى خلق الله الذهب والفضة
لاجلها هى ان قوام الدنيا بهما ولهما جبران لامنفعة فى اعيانهما
اذ لايردان حرا ولا بردا ولايغذيان جسما والخلق كلهم
محتاج اليهما من حيث ان كل انسان محتاج الى اشياء كثيرة
فى مطعمه وملبسه وقد لايملك مايحتاج اليه ويملك مايستغنى
عنه كمن يملك القمح مثلا وهو محتاج الى فرس والذى يملك
الفرس قد يستغنى عنه ويحتاج الى البر فلابد بينهما من معاوضة
ولابد من تقدير العوض اذ لايعطى صاحب الفرس فرسه
بكل مقدار من البر ولامناسبة بين البر والفرس حتى
يقال يعطى منه مثله فى الوزن والصورة فلايدرى ان الفرس
كم يساوى بالبر فتتعذر المعاملات فى هذا المثال واشباهه

فاحتاج

فاحتاج الناس الى متوسط يحكم بينهم بالعدل فخلق الله الذهب
والفضة حاكمين بين الناس فى جميع المعاملات فيقال لهذا الفرس
يسوى مائة دينار ولهذا القدر من البر يسوى مثله وانما كان
التعديل بالذهب والفضة لانه لاغرض فى اعيانهما وانما
خلقهما الله لتداولهما الايدى ويكونا حاكمين بالعدل ونسبتهما الى
جميع الاموال نسبة واحدة فمن ملكهما كانه ملك كل شيئ
ومن ملك فرسا مثلا فانه لم يملك الا ذلك الفرس فلو احتاج
الى طعام ربما لم يرغب صاحب الطعام فى الفرس لان غرضه فى
ثوب مثلا فاحتيج الى ما لهو فى صورته كانه ليس بشيئ ولهو
فى معناه كانه كل الاشياء والشيئ انما تستوى نسبته الى الاشياء
المختلفات اذا لم تكن له صورة خاصة كالمرات لا لون لها وتحكى
كل لون فكذلك الذهب والفضة لاغرض فيهما ولهما وسيلتان
الى كل غرض فكل من عمل فيهما عملا لا يليق بالحكمة الالهية
فانه يعاقب بالنار ان لم يقع السماح فمن كنز لهما من غير ان
يعطى منهما قدرا مخصوصا للفقراء فقد ابطل الحكمة فيهما وكان
كمن حبس الحاكم الذى يفصل بين الناس ويقطع الخصومات
فى سجن يمتنع عليه الحكم بسببه لانه اذا كنزهما فقد ضيع الحكم
وما خلق الله الذهب والفضة لزيد خاصة ولا لعمرو خاصة
وانما خلقهما لتتداولهما الايدى ليكونا حاكمين بين الناس ولا
شك ان العقل اذا عرف لهذا الذى قلناه حكم بان ادخار الذهب
والفضة عن الناس ظلم واستحسن العقوبة عليه لان الله
تعالى لم يخلق احدا للضياع وانما جعل عيش الفقراء على الاغنياء
ولكن الاغنياء ظلموا الفقراء ومنعوهم حقهم الذى جعله الله لهم
وكذا نقول من اتخذ من الذهب والفضة انية للاكل والشرب
فهو ظالم وكان اشر من الذى كنزهما وادخرهما الان مثال هذا مثال

من جعل حاكم البلد حجاما او درازا او جزارا من الاعمال التى يقوم بها
اخساء الناس لان النحاس والرصاص والطين تنوب مناب الذهب
والفضة فى حفظ المأكولات والمشروبات عن التبديد وفايدة الاوانى
حفظ المايعات ولا يكفى الطين والحديد والرصاص والنحاس فى
المقصود الذى يراد من الذهب والفضة ولاشك ان العقل اذا عرف
هذا لم يتوقف فى احسانه واستحسان العقوبة عليه وكذا
نقول من باع الذهب بالذهب والفضة بالفضة بزيادة قد
جعلهما مقصودين فى ذاتهما للتجارة وذلك خلاف الحكمة الالهية
لان من عنده ثوب مثلا وليس عنده ذهب ولا فضة وهو
محتاج الى طعام فقد لا يقدر ان يشترى الطعام بالثوب فهو
معذور فى بيعه بالذهب او الفضة فيتوصل الى مقصوده فانهما
وسيلتان الى الغير لا غرض فى اعيانهما فاما من عنده ذهب فاراد
بيعه بذهب او فضة فاراد بيعها بفضة فانه يمنع من ذلك
لانه يبقى الذهب او الفضة متقيدين محبوسين عنده ويكون بمنزلة
الذى كنز وتقييد الحاكم او الرسول الموصل الحاجات الى الغير ظلم
فلا معنى لبيع الذهب بالذهب والفضة بالفضة الا اتخاذهما
مقصودين للادخار فاذا عرف العقل هذا حسنه وحسن العقوبة
عليه وانما كان بيع الذهب بالفضة والعكس لا عقوبة عليه
لان احدهما يخالف الاخر فى التوصل به الى قضاء الحوايج اذ
يسهل التوصل بالفضة من جهة كثرتها فتتفرق فى الحاجات
والمنع تشويش للمقصود به وهو تسهيل التوصل به الى غيره
وكذا نقول لمن يبيع الفضة او الذهب بزيادة الى اجل كمن
يبيع عشرة بعشرين الى سنة ان مبنى الاجتماع واساس
الاديان هو استعمال ما يوجب المحبة والالفة فيحصل
التناصر والتعاون والانسان اذا كان محتاجا ووجد

من

من يسلفه فلا شك انه يتقلد منة من اسلفه ويعتقد محبته
ويرى ان نصرته واعانته امر لازم له ففي منع بيع الذهب
والفضة بزيادة الى اجل ابقاء لمنفعة السلف التي هي من اجل
المقاصد ولهذا الذي ذكرناه جزئية من كليات تبين ان الشرع
لا يخالف العقل وقس عليه جميع ما امرت به الانبياء ونهت
عنه فجميع اقوال الانبياء لا تخالف العقول ولكن فيها ما لا
يهتدي العقل اليه او لا فاذا اهدى اليه عرفه واذعن له وكما
يطلع الطبيب الحاذق على اسرار في المعالجات يستبعدها من
لا يعرفها فكذلك الانبياء فلا يصل العقل الى علومهم الا بتعريفهم
ويلزم العاقل التسليم لهم بعد النظر في صدقهم فكم من
شخص يصيبه مرض في اصبعه فيقتضي عقله ان يطلبه بالدواء
حتى ينبهه الطبيب الحاذق ان علاجه ان يطلق الكتف من
الجانب الاخر من البدن فيستبعد ذلك غاية الاستبعاد فاذا
عرفه الطبيب كيفية انشعاب الاعصاب ومنابتها ووجه
التفافها على البدن اذعن

فصل في اثبات النبوة واحتياج كافة العقلاء الى علوم الانبياء

اعلموا وفقكم الله
ان النبوة هي عبارة عن طور تنفتح فيه عين اخرى زايدة على
طور العقل ونظره ينظر بها النبي ما يكون في المستقبل من امور
العقل معزول عن ادراكها كعزل قوة التمييز عن ادراك المعقولات
وكعزل الحواس عن مدركات التمييز وانظروا الى ذوق الشعر
كيف يختص به قوم من الناس وهو نوع احساس وادراك
ويحرم عنه بعضهم وانظروا كيف عظمت قوة هذا الذوق
في طايفة حتى استخرجوا بها الموسيقى والاغاني والاوتار
ونحوها التي منها الحازن والمطرب والمبكي والمضحك والقاتل
والموجب للغشي وانما يقوى على استنباط هذه الانواع من

قوى له اصل الذوق واما العاطل عن خاصية هذا الذوق فيشارك
فى سماع الصوت وتضعف فيه هذه الاثار ولهو يتعجب من صاحب
الوجل والغشى ولو اجتمع العقلاء كلهم من ارباب الذوق
على تفهيمه معنى الذوق لم يقدروا عليه فلا تجعلوا الكمال
وقفا على العقل فوراء كمال العقل كمال اخر اعلا من كمال العقل
وكما ان المميز لو عرضت عليه مدركات العقل لانكرها واستبعدها
فكذلك بعض العقلاء استبعدوا مدركات النبوة ولا مستند
لاستبعادها الا انها طور لم تبلغه العقول وقد خلق الله
مثالا للنبوة من حيث انها ادراك زايد على الادراك المتعارف
ولهو النوم اذ النائم يدرك امورا تكون فى المستقبل اما
صريحا واما باشارة يعرفها المعبرون للرؤيا ولهذا لو لم
يجربه الانسان من نفسه وقيل له ان من الناس من يسقط
كالميت ويزول احساسه وسمعه وبصره فيدرك المغيبات
لانكره وقال القوى الحسية اسباب الادراك والانسان
لايدرك المغيبات مع وجود حواسه فكيف يدرك مع
غيبتها والوجود والمشاهدة قاضيان بصحة النوم وقد
شهدنا صحة كثير من المنامات وبلغنا عن الثقات بالنقل الصحيح
ان الفردوسى الشاعر لما صنف كتابه المسمى بشاهنامه على
اسم السلطان محمود بن سبكتكين وانه ما قضى حقه كما
يلزم وما راعاه كما يليق بذلك الكتاب ضاق قلب الفردوسى
فراى رستم فى المنام فقال له انك مدحتنى فى هذا الكتاب
كثيرا وانا فى جملة الاموات فلا اقدر على قضاء حقك ولكن
اذهب الى الموضع الفلانى واحفر فانك تجد فيه دفينا
كنت دفنته فخذه فذهب فوجده واخذه فكان الفردوسى
يقول ان رستم بعد موته كان اكثر كرما من محمود حال حياته

والشك

والشك فى النبوة اما ان يكون فى امكانها او وجودها او حصولها
لشخص معين ودليل امكانها ووجودها وجود معارف فى
العالم لايمكن ان تدرك بالعقل كعلم الطب وعلم النجوم فان
من بحث فى علميهما علم يقينا ان بعضها لايدرك الا من جهة
الله تعالى ولا تكون التجربة طريقا اليها فان من الاحكام
النجومية مالايقع الا فى كل الف سنة مرة فكيف يحصل ذلك
العلم بالتجربة وكذلك خواص الادوية فظهر بهذا ان من الممكن
وجود طريق ادراك لهذه الامور التى لايدركها العقل ولهو
المراد بالنبوة وثم امور تسمى خواص لايدور العقل حولها
اصلا فان وزن دانق من الافيون سم قاتل لانه يجمد الدم
فى العروق لقوة برودته والعالم بالطبيعيات يقول انه
يبرد لانه من المبردات التى يغلب فيها عنصر الماء والتراب
ومعلوم ان ارطالا من الماء والتراب لايبلغ تبريدها الى هذا
الحد ولو اخبر طبيب بهذا ولم يجربه لقال هذا كذب لان الماء
والتراب لو كانا وحدهما ما وصلا الى هذا الحد والافيون فيه
هوائية ونارية فاذا جربه التزم ان يقول ان فى الافيون
خاصية فى التبريد خارجة عن قياس المعقول ولو قيل
لانسان لعل يمكن ان يكون فى الدنيا شئ لهو بمقدار حبة
قمح يوضع فى بلدة فياكل تلك البلدة بحملتها ثم ياكل
نفسه فلا يبقى شئ من البلدة وما فيها ولا يبقى لهو فى نفسه
لقال لهذا محال ولهو من جملة الخرافات ولهذه حالة ينكرها
من لم ير النار واكثر العجايب التى يخبر بها الانبياء من
هذا المعنى واذا ثبت ان الله تعالى فاعل مختار لا علة
موجبة وثبت ان ارسال الانبياء ممكن غير محال فى حقه
وجاءت الانبياء بما يصدقهم من المعجزات الخارقة

للعادة لزم تصديقهم والدليل على ان الله تعالى فاعل مختار هو
ان هذه الاجسام الموجودة متناهية وكل متناه فهو مشكل
ينتج ان هذه الاجسام الموجودة مشكلة وهذه الاشكال
قسمان احدها الاشكال التي حصلت على سبيل الاتفاق من
غير ان يحتاج حصوله الى فعل فاعل حكيم والثاني الاشكال
التي يشهد صريح العقل بانها لم تحصل الا بقصد فاعل حكيم
اما القسم الاول فمثل الحجر المنكسر والكوز المنكسر فانه لابد
وان يكون لتلك القطعة من الحجر والفخار شكل مخصوص معين
الا ان صريح العقل شاهد بان ذلك الشكل المخصوص وقع
على سبيل الاتفاق ولا يتوقف حصوله على فعل فاعل
مختار واما القسم الثاني فهو مثل الاشكال الواقعة على
وفق المصالح والمنافع مثاله الابريق انا لما نظرنا الى الابريق
رأينا فيه ثلاثة اشياء احدها الراس الواسع وثانيها
البلبلة الضيقة وثالثها العروة فلما تاملنا في هذه الاحوال
الثلاثة وجدناها موافقة لمصلحة الخلق فانه لابد من توسيع
راس الابريق حتى يدخل الماء بالسهولة ولابد من ضيق بلبلته
حتى يخرج الماء منها بقدر الحاجة ولابد له من العروة حتى
يقدر الانسان على ان ياخذه بيده فلما وجدنا هذه الاوصاف
الثلاثة في الابريق مطابقة للمصلحة شهد عقل كل واحد
بان فاعل هذا الابريق لابد وان يكون قد فعله بناء على الحكمة
ورعاية المصلحة ولو ان قايلا قال ان هذا الابريق تكون
بنفسه من غير قصد قاصد حكيم ولا فعل فاعل بل اتفق تكونه
في نفسه كما اتفق تشكل هذه القطعة بهذا الشكل الخاص من
غير قصد قاصد حكيم ولا جعل جاعل لشهدت الفطرة السليمة
بان هذا القول باطل محال ومتى ثبت القول بالفاعل المختار

ثبت حدوث العالم ومن عرف هذا سهل عليه معرفة النبى
فان من دخل بستانا ورأى ازهارا حادثة بعد ان لم تكن ثم رأى
عنقود عنب قد اسود جميع حباته الاحبة واحدة مع تساوى
نسبة الماء والهواء وحر الشمس الى جميع تلك الحبات فانه
يضطر الى العلم بان فاعله مختار وحينئذ تحصل المعرفة
الضرورية بصدق الرسول لان دلالة المعجزة على صدق
الرسول ضرورية تنبيه اذا وقع لكم الشك فى شخص
معين انه نبى ام لا فلا يحصل لكم اليقين الا بمعرفة احواله
اما بالمشاهدة واما بالتسامع والتواتر فانكم اذا عرفتم الطب
والحكمة مثلا يمكنكم ان تعرفوا الاطباء والحكماء بمشاهدة احوالهم
وسماع اقوالهم وان لم تشاهدوهم فلا تعجزون عن معرفة
كون جالينوس طبيبا وكون افلاطون حكيما معرفة بالحقيقة لا
بالتقليد للغير بان تطالعوا كتبهما وتصانيفهما بعد معرفتكم
بالطب والحكمة فيحصل لكم العلم الضرورى بحالهما فاذا فهمتم
معنى النبوة فاكثروا من مطالعة كتب الانبياء واخبارهم وكيف
كانت سيرتهم واحوالهم فاذا قال قايل ان هذا المنقول
عنهم خرافات وكذب فنقول له مابال الناس ينقلون نقلا
متواترا عن غير الانبياء مثل ما نقلوا عن الانبياء واكثر الامور
التى نقلت عن الانبياء مما يدل على صدقهم متواترة يجزم
العقل بانها والتواتر مفيد للعلم وحقيقة التواتر هو ان
يخبر جماعة يبعد تواطؤهم على الكذب عادة عن امر محسوس
فيحكم العقل به بمجرد خبرهم فيحصل العلم الضرورى ولا
شك فى هذا اذ لا طريق للعلم الضرورى بالبلاد البعيدة
مثل الصين وامريكة والاشخاص الماضية كحاتم وعنترة
وجالينوس وارسطو الا بالتواتر وجميع الانبياء انما ثبتت نبوتهم

عندنا وعند كل من لم يشاهدهم ويعاصرهم بالتواتر لانه نقل
الينا بالتواتر احوالهم وسيرهم وظهور الخوارق على ايديهم فان
رددنا التواتر وما قبلناه واقتصرنا على ما نشاهده يلزمنا
عدم التصديق بوجود البلاد التي لم نشاهدها وعدم الاشخاص
الذين لم نشاهدهم ولهو ظاهر البطلان وان اعترفنا بصحة
التواتر لزمنا الاعتراف بنبوة جميع الانبياء والنبي يدعوا الناس
الى عبادة الله ولا ضرر عليه لو خالفه الناس اجمعون ومثال
الرسول مع الذين ما صدقوه ولا اجابوا خواطرهم بالنظر في صحة
قوله مثال رجل يقول لاخران وراءك سبعا ضاريا فان لم
تهرب قتلك وان التفت وراءك ونظرت عرفت صدقي فيقول
الواقف انه لا يثبت صدقك عندي الا اذا نظرت والتفت
وراءي ولا التفت وراءي الا اذا ثبت صدقك ولهذا الكلام
يدل على حماقة هذا القايل وتعرضه للمهالك ولا ضرر فيه على
هذا المخبر فكذلك الرسول يقول وراءكم الموت ووراء الموت
السباع الضارية والنيران المحرقة فان لم تحذروا منها وتعرفون
صدقي بالنظر في احوالي ومعجزاتي لهلكتم فمن التفت ونظر
عرف ونجا ومن لم يلتفت ولم ينظر هلك ولا ضرر علي ولو
هلك الناس اجمعون فالرسول يعرف بوجود السباع الضارية
بعد الموت والعقل يفهم كلامه ويحكم بامكان وقوع ما يقوله
في المستقبل والطبع من شانه الحذر من الضرر واساس
الديانة واصولها لا خلاف فيها بين الانبياء من آدم الى
محمد فكلهم يدعون الخلق الى توحيد الاله وتعظيمه واعتقاد
ان كل شيئ في العالم صنعه وانه تعالى علة لوجود كل شيئ
ولا علة لوجوده هو سبحانه والى حفظ النفس والعقل
والنسل والمال فهذه الكليات الخمس لا خلاف فيها بين الانبياء

وجميع

وجميع الشرائع متفقة عليها وحاصلها يرجع الى تعظيم الاله
والشفقة على مخلوقاته وطريان النسخ على هذه الكليات
الخمس محال وانما النسخ يمكن فى الشرائع الوضعية وهى الاشياء
التى يجوز ويصح ان لا تكون مشروعة دون الاحكام العقلية
كتوحيد الاله وما ذكرنا معه من الكليات فان العقول
والشرائع متوافقة على لزوم حفظها والخلاف بين الانبياء
فى كيفية حفظها ووضع القوانين لدوام بقائها محفوظة وفائدة
النسخ وحكمته اما على تقدير كون الاحكام الشرعية معللة بمصالح
العباد واللطف بهم فيمكن ان تختلف مصالح الاوقات فتختلف
الاحكام بحسبها كمعالجة الطبيب فانه قد يامر بشرب
دواء خاص فى وقت دون وقت فربما كانت المصلحة فى وقت
ثبوت الحكم لاشتماله على شيئ تلزم رعايته وفى وقت آخر
ارتفاعه لاشتمال رفعه على مصلحة اخرى حادثة بعد زوال
الاولى واما على تقدير ان الاحكام الشرعية مستندة الى محض
ارادة الله من غير مراعات مصلحة فالامر هين لانه تعالى
هو الحاكم المطلق الفعال لما يريد فيمكن ان يضع حكما ويرفع
حكما لا لعلة وغرض فكما لا تنافى بين الامر المقتضى لوجود
الحادث فى وقت وبين الامر المقتضى لفنائه فى وقت آخر
كذلك ليس بين تحليل الشيئ فى زمان وتحريمه فى زمان
آخر تناف اصلا وكما ان مدة بقاء كل حادث وزمان فنائه
معين فى علم الله وان كان مجهولا لنا كذلك مدة بقاء
كل حكم وزمن تغيره كان معينا فى علم الله وان كان مجهولا
لاهل الاديان السابقة فالتخالف بين شرائع الانبياء فى جزئيات
الاحكام بسبب تفاوت الاعصار فى المصالح من حيث ان كل واحد
من الاحكام حق بالاضافة الى اهل زمانه مراعى فيه مصالح من خوطب

به فالنسخ انما هو للاحكام لا لنبوة النبى المنسوخة لشريعته
فان النبوة وصف لا تزول عمن اتصف بها واليهود منعوا
النسخ وذلك ان الانجيل النازل على المسيح ليس فيه احكام
من الحلال والحرام وانما هو رموز وامثال ومواعظ والاحكام
محالة على التوراة فقالت اليهود ان عيسى مامور باتباع
التورية وموافقة موسى فغير وبدل وعد واعليه من
التغييرات تغيير السبت الى الاحد ومنها اكل الخنزير وكان
حراما فى التورية ومنها الختان وكان لازما فى التوراة ومنها
الغسل من الجنابة وكان لازما فى التورية ومنها زوال النجاسة
وكان لازما فى التورية وغير ذلك واحتجت اليهود بان موسى
نفى نسخ دينه ويلزم الاعتراف بصدقه لكونه نبيا بالاتفاق
وذلك انه قال بالتواتر تمسكوا بالسبت مادامت السموات
والارض والمراد بدوامه دوام اليهودية كما هو ظاهر اللفظ
واحتجوا ايضا بان موسى اما ان يكون صرح بدوام دينه او بعدم
دوامه او سكت والاخيران باطلان اما تصريحه بعدم
دوام دينه فانه لو قال ذلك لتواتر عنه لكونه من الامور
العظيمة التى تتوفر الدواعى على نقلها واشاعتها سيما من
الاعداء ومن يدعى نسخ دينه لانه اقوى حجة له فى نسخه
لكنه لم يتواتر باتفاق واما الثالث وهو سكوته فلانه
يقتضى ثبوت دينه مرة واحدة وعدم تكرره لان الشئ اذا اطلق
يتحقق بالمرة الواحدة ولهذا معلوم البطلان لتقرر شرع موسى
الى وقت ظهور المسيح فاجابهم النصارى المصدقون
للمسيح القائلون بان نسخ الشرايع ممكن بان تواتر دوام السبت
عن موسى باطل ولو كان متواترا لاحتج به على المسيح ولو احتج
به عليه لنقل الينا متواترا لتوفر الدواعى على نقله ولا تواتر واما

قولكم

قولكم انه كان صرح بدوام دينه او بعدم دوامه اوسكت فجوابه
انه صرح بدوامه الى ظهور الناسخ وهو المسيح وانما لم ينقل
ذلك تواتر القلة الدواعى منهم الى نقله لما فيه من الحجة عليهم
والنسخ فى الحقيقة ليس هو ابطال وانما هو تكميل وفى التوراة
احكام عامة واحكام مخصوصة اما باشخاص واما بازمان واذا
انتهى ذلك الزمن لم يبق ذلك الحكم لامحالة ولا يقال
انه ابطال واليهود لو عرفوا ما ورد التكليف بملازمة السبت
وهو يوم اى شخص يوم من الاشخاص وفى مقابلة اية حال
وجزء اى زمن عرفوا ان شريعة المسيح حق واليهود هم الذين
اعتدوا فى السبت فمسخهم الله قردة وخنازير وقال للمسيح
ما جئت لابطال التوراة بل جئت لاكملها قال صاحب التوراة
النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والجروح
قصاص وانا اقول اذا لطمك اخوك على خدك الايمن فضع له
خدك الايسر وجواب النصارى لليهود هو جواب المسلمين
للنصارى والذى قاله المسيح قاله محمد فانه قال ما جئت
لابطل الانجيل والتوراة وانما جئت لاكملها ففى التوراة
احكام السياسة الظاهرة العامة وفى الانجيل احكام السياسة
الباطنة الخاصة وانا جئت بالسياستين جميعا جئت بالقصاص
ولكم فى القصاص حيوة وهو اشارة الى السياسة الظاهرة
العامة وجئت بالعفو وان تعفوا اقرب للتقوى خذ
العفو وامر بالعرف واعرض عن الجهلين وهو اشارة الى
السياسة الباطنة الخاصة وهذا دليل على ان محمدا صلى الله
عليه وسلم خاتم النبيين لان النبوة حكمة والحكمة اما عملية
او علمية او جامعة بينهما وحكمة موسى كانت عملية لاشتمالها
على تكاليف شاقة واعمال متعبة وحكمة المسيح كانت علمية

لاشتمالها على التجرد والروحانيات والتصوف المحض وحكمة
محمد جامعة بينهما فلا يجئ نبى بعده غير المسيح فانه ينزل
ثانيا الى الارض لان الذى يجئ بعد محمد ان كانت حكمته
عمليه فموسوى وان كانت حكمته علمية فمسيحي وان كانت
جامعة بينهما فمحمدى فقد اختمت عليه النبوة بالضرورة
فالدين واحد باتفاق الانبياء وانما اختلفوا فى بعض القوانين
الجزئية فهم كرجال ابوهم واحد وامهاتهم متعددة فتكذيب
جميعهم او تكذيب البعض وتصديق البعض قصور ولو
اصغى المسلمون والنصارى الى لرفعت الخلاف بينهم ولصاروا
اخوانا ظاهرا وباطنا ولكن لا يصغون الى لما سبق فى علم
الله انه لا يجمعهم على راى واحد ويرفع الخلاف بينهم الا
المسيح عند نزوله ولا يجمعهم لمجرد كلامه مع انه يحى الموتى
ويبرئ الاكمه والابرص ولا يجمعهم الا بالسيف والقتل
ولو جائنى من يريد معرفة طريق الحق وكان يفهم لسانى
فهما كاملا لاوصلته الى طريق الحق من غير تعب لابان يقلبنى
بل يظهر الحق له حتى يعترف به اضطرارا وعلوم الانبياء
من حيث خطابهم للعامة دائرة على ما يصلح الناس فى معاشهم
ومعادهم وما جاؤا ليجادلوا الفلاسفة ولا لابطال علوم الطب
ولا علوم النجم ولا علوم الهندسة وانما جاء باعتبار لهذه العلوم
على وجه لا يناقض التوحيد ونسبة كل ما يحدث فى العالم
الى قدرته وارادته سبحانه فما جاؤا لمنازعة من يقول الجسم
مركب من العناصر الاربعة ولا من يقول ان الارض كرية الشكل
ولا من يقول ان خسوف القمر بسبب توسط الارض بينه
وبين الشمس فان امثال هذه الامور لا تضاد ما جاءت به الانبياء
وبحث الانبياء فى العالم انما هو عن كونه حادثا او قديما ثم اذا

ثبت

ثبت حدوثه فسواء كان كرة او بسيطا وسواء كانت السماوات
وما تحتها ثلاث عشرة طبقة او اقل او اكثر فالمقصود كونه من
فعل الله ومن قال هذا مناقض للدين او المنازعة فيه من
الدين وضرر الشرع من جهلة من ينصره لا بطريقته اكثر ممن
يطعن فيه خاتمة ان المكذب للانبياء المستغني بعقله عما
جاؤا به من الاعمال والعبادات مغرور وكل ما جاء في فضل
العلم وذم الجهل فهو دليل على ذم الغرور لان الغرور عبارة
عن بعض انواع الجهل اذ الجهل هو ان يعتقد الشيء على خلاف
ما هو عليه فهما كان الانسان يعتقد شيأ يوافق هواه وكان
السبب الموجب لاعتقاده دليلا فاسدا فهو مغرور وانواع
الغرور والمغرورون كثير ونذكر نوعا واحدا وهم الذين
غرتهم الدنيا فنقول قال الذين غرتهم الدنيا الحاضر خير
من المنتظر والدنيا حاضرة والاخرة منتظرة فالدنيا خير فلا
بد من الاشتغال بها وبما يصلحها وقالوا اليقين خير من
الشك ولذات الدنيا يقين ولذات الاخرة شك فلا نترك
اليقين لاجل الشك ودواء هذا اما بتصديق الانبياء فيما قالوا
واما بالدليل والبرهان اما تصديق الانبياء مجردا فهو مرتبة
العوام ويخرج المصدق لهم من الغرور وينزل هذا منزلة
تصديق الصبي والده في ان حضور المكتب خير من حضور
اللعب مع انه لا يدري وجه كونه خيرا واما البرهان فهو ان يعرف
فساد هذا الدليل وفيه اصلان احدهما ان الدنيا حاضرة والاخرة
منتظرة وهذا صحيح والاخر ان الحاضر خير من المنتظر وليس كذلك
بل ان كان الحاضر مثل المنتظر في المقدار فهو خير وان كان اقل منه
فالمنتظر خير فان المغرور يبذل في تجارته درهما ليأخذ عشرة منتظرة
ولا يقول الحاضر خير من المنتظر فلا اتركه واذا حذره الطبيب

من اكل الفواكه ولذايد الاطعمة ترك ذلك فى الحال خوفا من
الم المرض فى المستقبل فقد ترك الحاضر ورضى بالمنتظر والتجار
كلهم يركبون البحار ويتعبون فى الاسفار حاضرا لاجل الربح
والراحة فى المستقبل فان كان عشرة فى المستقبل خيرا من واحد
فى الحاضر فانسب لذة الدنيا من حيث موتها الى مدة الاخرة
فان غاية عمر الانسان مايه سنة وليس لهو عشر عشر من
جزء من مايه الف الف جزء من الاخرة فانه ترك واحدا
ليا خذ الف الف بل ياخذ ما لانهاية له ولاحد وان نظر
من حيث اللذة راى لذة الدنيا مكدرة مشوبة بانواع المنغصات
ولذة الاخرة صافية غير مكدرة فاذا انه غلط فى قوله الحاضر
خير من المنتظر واما الدليل الاخر وهو قوله اليقين خير
من الشك والدنيا يقين فهو اكثر فسادا من الاول اذ اليقين
خير من الشك اذا كان مثله والا فالتاجر فى تعبه على
يقين وفى ربحه على شك والمتعلم فى اجتهاده وتعبه
على يقين وفى ادراكه رتبة العلماء على شك والصياد
فى تردده فى مواضع الصيد على يقين وفى الظفر بالصيد
على شك وكل هذا ترك لليقين بالشك ولكن التاجر يقول
ان لم اتجر بقيت جائعا وان اتجرت كان تعبى قليلا وربحى
كثيرا وكذلك المريض يشرب الدواء المر وهو من
الشفاء على شك ومن مرارة الدواء على يقين ولكن يقول
ضرر مرارة الدواء قليل بالنسبة الى ما اخافه من المرض والموت
فكذلك من شك فيما قاله الانبياء فى الاخرة بعد الموت
فلا زم له بحكم العقل والحزم الذى هو راب العقلاء ان يقول
الصبر ايام قلائل وهو مدة العمر قليل بالنسبة الى ما يقال من
امور الاخرة فان كان ما قيل كذبا فلا تفوتنى الا الراحة

والتنعم ايام عمرى وان كان ما قيل صدقا فابقى فى النار ابدا لابد
وهذا لايطاق ولهذا قال بعض المصدقين للانبياء لبعض المكذبين
يا هذا ان كان الذى قلته انت حقا فقد تخلصت وتخلصنا
وان كان الذى قلته انا حقا فقد تخلصنا وهلكت انت
واما الاصل الثانى وهو ان الاخرة شك فهو خطاء بل هو
يقين عند العقلاء وطريق زوال هذا الغرور هو التصديق
للانبياء والعلماء بوجود الاخرة وما اعد الله فيها للمطيعين
والعاصين ومثاله مثال مريض لايعرف دواء علته وقد اتفق
الاطباء كلهم على ان دواء البت الفلانى فان المريض يصدقهم
ولايطالبهم بالبرهان على صحة قولهم بل يتيقن بقولهم ويعمل
به ولو بقى معتوها وصبيا يكذبهم فى ذلك والمريض يعلم انهم اكثر
عددا ممن كذبهم واعظم منه فضلا واعلم منه بالطب ولو ركن
المريض الى قول المعتوه وترك قول الاطباء كان معتوها
مغرورا فكذلك من نظر الى المقرين بالاخرة والمصدقين بها
وجدهم اعلا الناس رتبة فى العقل والمعارف ووجد المكذبين
بالاخرة اخس الناس من البطالين الذين غلبت عليهم الشهوات
البهيمية فلما ان قول المعتوه لايزيل ثقة القلب بما اتفق عليه
الاطباء فكذلك قول هؤلاء البطالين الذين بقوا محبوسين
فى مدركات الحواس لايشكك فى قول الانبياء والعلماء

الباب الثالث فى فضل الكتابة

اعلموا انه تقرر ان الانسان
مدنى بالطبع اذ الانسان الواحد لو لم يكن فى الوجود الا هو
والا الامور الموجودة فى الطبيعة لهلك او ساءت معيشته
فالانسان محتاج الى امور زايدة عما فى الطبيعة مثل الغذاء المصنوع
فان الاعزبة لاتلايم الانسان والملابس لاتصلح له الا اذا
صارت صناعية فلذلك يحتاج الانسان الى جملة من الصناعات

حتى تسهل اسباب معيشته والانسان الواحد لا يمكنه القيام بالصناعات كلها فلا بد من المشاركه والاجتماع حتى يحصل هذا الذلك وينسج ذاك لهذا وحينئذ فيحتاج الانسان الى ان تكون له قدرة على ان يعرف الاخر الذى هو شريكه ما فى نفسه بعلامة وضعية وهى اما اشارة واما لفظ واما كتابة والاشارة تتوقف على المشاهدة واللفظ يتوقف على حضور المخاطب وسماعه واما الخط فلا يتوقف على شئ فهو اشرفها وهو خاصية النوع الانسانى فاللفظ اشرف من الاشارة والكتابة افضل من النطق لان الاشارة لا تصلح الا للشئ المرئى الحاضر وهى عبارة عن تحريك الحدقة الى جانب معين فالاشارة نوع واحد او نوعان فلا تصلح لتعريف الاشياء المختلفة وايضا اذا اشير الى شئ فذلك الشئ ذات قامت بها صفات كثيرة فلا يعرف بسبب تلك الاشارة ان المراد تعريف الذات وحدها او الصفة الفلانية واما اللفظ فانه واف بجميع ذلك لان اللفظ يتناول الموجود والمعدوم ويتناول ما تصح الاشارة اليه وما لا تصح الاشارة اليه ويفهم المقصود منه دون ابهام والكتابة اشرف وانفع من الاشارة واللفظ لان القلم وان كان لا ينطق فانه يسمع اهل المشرق واهل المغرب فما جمعت العلوم ولا قيدت الحكمة ولا ضبطت اخبار الاولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة ولولا الكتابة ما استقام للناس دين ولا دنيا فالكتابة عين العيون بها يبصر الشاهد الغائب وفى الكتابة تعبير عن الضمير بما لا ينطق به اللسان ولذا قيل القلم احد اللسانين بل الكتابة ابلغ من اللسان فان الانسان يقدر على كتابة ما لا يقدر ان يخاطب به غيره ويبلغ المقصود حيث لا يمكن الكلام مشافهة ولهذا نرى

شرع

شرع الاسلام عن تعليم النساء الكتابة لان المراة قد لا يمكنها القاء
من تهوى فتكتب له فتكون الكتابة سببا للفتنة ومن المعلوم
ان البيان بيانان اثنان بيان اللسان وبيان البنان ومن
فضل بيان البنان ان ما تثبته الاقلام باق مع الايام وبيان
اللسان تدرسه الاعوام وقوام الدين والدنيا بشيئين *
السيف والقلم والسيف تحت القلم ولله در من قال *
كذا قضى الله للاقلام مذ بريت ، ان السيوف لها مذ رهفت خدم ،
وقد قدمنا ان الملكات الصناعية تفيد عقلا زايدا والكتابة
من بين الصنايع اكثر افادة لذلك لانها تشتمل على علوم وانظار
اذ فيها انتقال من صور الحروف الخطية الى الكلمات اللفظية
ومنها الى المعانى فهو ينتقل من دليل الى دليل وتتعود النفوس
ذلك دايما فيحصل لها ملكة الانتقال من الدليل الى المدلول
وهو مقتضى النظر العقلى الذى يكتسب به العلوم المجهولة
فيحصل بذلك مزيد عقل وزيادة فطنة والكتابة وان
عظمت منفعتها فهى مفرعة عن النطق ولكن قد يوجد فى الفرع
ما لا يوجد فى الاصل فيكون فى الفرع ما لا فى الاصل وزيادة بيانه
ان بدن الانسان لا يتم الا بالقلب الذى هو معدن الحرارة الطبيعية
ولا بد من وصول النسيم البارد اليه ساعة بعد ساعة حتى يبقى
على اعتداله ولا يحترق فخلقت الالات فى بدنه بحيث يقدر
الانسان بها على ادخال النسيم البارد فى قلبه فاذا امكث ذلك
النسيم لحظة تسخن وفسد لزم اخراجه فالصانع الحكيم جعل
النفس الخارج سببا لحدوث الصوت ثم ان الصوت سهل تقطيعه
فى المحابس المختلفة فحصلت لهيات مخصوصة بسبب تقطيع
ذلك الصوت فى تلك المحابس وتلك الهيات المخصوصة هى الحروف
ثم ركبوا الحروف فحصلت الكلمات ثم جعلوا كل كلمة مخصوصة معرفة

لمعنى مخصوص ثم اضطروا الى الكتابة وعظمت الحاجة اليها وظاهر
ان ادخالها فى الوجود صعب وذلك انا لو افتقرنا الى ان نضع
لتعريف كل معنى من المعانى نقشا مخصوصا لافتقرنا الى وضع
نقوش لانهاية فدبروا فيه طريقا لطيفا وهو انهم وضعوا
بازاء كل واحد من الحروف النطقية البسيطة نقشا خاصا
ثم جعلوا النقوش المركبة فسهلت الكتابة بهذا الطريق
فلهذا كانت الكتابة مفرعة عن النطق ولكن حصلت فى
الكتابة منفعة عظيمة وهو ان عقل الانسان الواحد لا يقدر
على استنباط العلوم الكثيرة فصار الانسان اذا استنبط مقدارا
من العلم واثبته بالكتابة فاذا جاء انسان اخر ووقف عليه
قدر على استنباط شيئ اخر زائد على ذلك الاول فظهر ان
العلوم انما كثرت باعانة الكتابة فصل جميع كتابات
الامم من سكان المشرق والمغرب اثنتا عشرة كتابة وهى
الفارسية والحميرية والعربية واليونانية والسريانية والعبرانية
والرومية والقبطية والبربرية والاندلسية والهندية والصينية
وخمس من هذه بطل استعمالها ولم يبق من يعرفها من الامم وهى
الحميرية واليونانية والقبطية والبربرية والاندلسية والباقيات
مستعملات فى بلدانها اما الكتابة الفارسية فانه وان كان
جنسها واحدا ففيها ستة انواع من الخطوط وحروفها
مركبة من ابجد هوز كلمن سفارش ثخذ ضظغ فالتاء المثنات
من فوق والحاء المهملة والصاد والضاد والطاء والظاء والعين
المهملة والقاف سواقط عندهم واول من وضع الكتابة
الفارسية كهمورث ويقال كيومرث ثالث ملوك الفرس الاولى
ويقال انه اول من تكلم بالفارسية وقيل اول من كتب بالفارسية
الضحاك وقيل فريدون وملوك الفرس طبقتان فعدة الطبقة

الاولى تسعة عشر ملكا منهم امراتان اخرلهم دارا ابن دارا الذي
قتله الاسكندر اليونانى ودثرت الفرس الاولى كدثور الامم الماضية
وعدد ملوك الفرس الثانية ثلاثون ملكا منهم امراتان اولهم
اردشير بن بابك بن ساسان الذى وضع له النرد واخرلهم
يزدجرد بن شهريار ردلهم الاكاسرة واصح ماقيل فى مدة ملك
الفرس من ابتداء ملك كيومرث بن اميم الى انقضاء ملكهم
من الارض ثلاثة الاف سنة ومائة سنة واربع وستون
سنة وانقضى ملكهم بقتل يزدجرد بن شهريار رفى خلافة
عثمان بن عفان سنة اثنين وثلاثين من الهجرة وكانت الفرس
قليلة الكتب والرسايل ولم يكن لهم اقتدار على بسط الكلام
واخراج المعانى من النفوس الى ان ملك زرادشت صاحب
شريعة المجوس واظهر كتابه العجيب بجميع اللغات الزم الناس
بتعليم الخط والكتابة فمهروا فى ذلك ولغات اهل فارس
فى القديم خمس الفهلوية والدرية والفارسية والخوزية والسريا
نية
اما الفهلوية فمنسوبة الى فهلة اسم يقع على خمسة بلدان ولهى
اصبهان والرى ولهمدان ونهاوند واذربيجان واما الدرية
فمنسوبة الى دار الملك ولهى لغة اهل المدائن وبها كان يتكلم
من بدار الملك واما الفارسية فيتكلم بها الموابذة والعلماء
ولهى لغة اهل فارس واما الخوزية فبها كان يتكلم الملوك
والاشراف فى الخلوة مع حاشيتهم واصحابهم واما السريانية
فكان يتكلم بها اهل السواد الا انها سريانية غير فصيحة واما
الكتابة العربية فالصحيح ان اول من خط بالعربى مرامر بن مرة
وكان يسكن الانبار ومن الانبار انتشرت الكتابة فى العرب واصل
الخط العربى هو الخط الكوفى والنقط حادث فى الخط العربى حدث
بعد الاسلام والذى نقل الكتابة من الانبار الى الحجاز حرب بن

امية جد الملوك الاموية ولهذه الطريقة الموجودة الان اخرجها
من خط الكوفيين وابرزها فى لهذه الصورة ابو على محمد بن
مقلة وزير المقتدر بالله العباسى ثم جاء بعده ابو الحسن
على بن هلال المعروف بابن البواب فهذب لهذه الطريقة
وكساها طلاوة وبهجة ولهذه الكتابة العربية قريبة الحدوث
لان العرب كانوا اهل حفظ ورواية اغناهم حفظهم عن
الكتابة وكانت اشعارهم لهى دواوين تواريخهم وضابطة
لايامهم وحروبهم ولم يكن فيها عالم معروف ولا حكيم مذكور
واما الكتابة الحميرية فقد قدمنا انها درست وكانت تسمى
المسند وحروفها منفصلة غير متصلة وكانوا يمنعون العامة
من تعلمها ولا يتعلمها احد الا باذن الملك فجات ملة الاسلام
وليس بجميع اليمن من يقرء ويكتب قيل اول من وضع كتابة المسند
لهو حمير ابو ملوك اليمن وهو سبا لانه لما اكثر الغزو فى اقطار
الارض سموه سبا ولهو الذى ابتنا صقلية وكثيرا من مدائن
المغرب تملك المغرب مائة سنة ووصل ملك ملوك حمير من
جهة الغرب الى طنجة ومن جهة المشرق الى سمرقند ولهى
مدينه الصغد والذى دخلها ولهدمها شمر بن افريغش فسميت
شمرکند اى شمر اخربها لان معنى شمر بالفارسى اخرب ثم ان
العرب عربوها وقالوا سمرقند ثم ظهر له فى بنائها فبناها
وكتب على بابها بالكتابة الحميرية لهذا فعل شمر الاشم ملك العرب
لا العجم فمن بلغ لهذا المكان فهو مثلى ومن جاوزه فهو افضل
واخر ملوك حمير ذو جدن وكانت مدة ملكهم الفين وعشرين
سنة ثم ملك اليمن بعد لهم من الحبشة اربعة ومن الفرس
ثمانية ثم جاء الاسلام فصارت لهم واما الكتابة السريانية
فهى ثلاثة انواع واقدم الانواع عندهم لا فرق بينه

وبين

وبين العربي في الهجاء الاان الثاء المثلثة والخاء والذال والصاد
والضاد والعين كلها سواقط عندهم وكذا لام الف وتركيب
حروفها من اليمين الى اليسار وبالسريانية كان يكتب
الكلدانيون ومعنى الكلدانيين الموحدون ولهم امة قديمة
مسكنهم العراق وجزيرة العرب منهم النماردة ملوك الارض
بعد الطوفان ولغة السريانية الفصيحة شانها عجيب
لان الكلام فيها يتركب من الحروف الهجائية فكل حرف لهجاء في
السريانية يدل على معنى مفيد فاذا جمع الى مفيد آخر حصلت
منهما فائدة الكلام وتختلف معاني الحروف باختلاف الحركات
والكلام في كل لغة غير السريانية يتركب من الكلمات لامن
الحروف الهجائية وكانت اللغة السريانية صافية من ادم
الى ادريس ولهو الملقب بهرمس الهرامسة والمثلث بالنعمة
لانه كان نبيا ملكا حكيما ولهو بانى الاهرام بمصر على الصحيح
ولهو اول من تكلم في الاجرام العلوية والحركات النجومية
واول من نظر في الطب والف في البسايط والمركبات واول
من وضع الهندسة فلما ذهب ادريس وقع التبديل والتغيير
في اللغة السريانية وجعل الناس ينقلونها عن اصلها ويستنبطون
منها لغاتهم واول لغة استنبطت من السريانية لغة الهند
فهى اقرب اللغات الى السريانية ولهذا كانت اللغة السريانية
سارية في جميع اللغات سريان الماء في العود لان حروف
الهجاء في كل كلمة من كل لغة قد فسرت في السريانية ووضعت
لمعانيها الخاصة مثاله احمد يدل في اللغة العربية اذا كان
علما على الذات المسماة به وفي اللغة السريانية تدل الهمزة
المفتوحة التي في اوله على معنى والحاء المسكنة على معنى والميم
المفتوحة على معنى والدال ان كانت مضمومة على معنى وان

كانت مفتوحة على معنى وان كانت مكسورة على معنى وهكذا
كل كلمة مثل زيد وعمرو ورجل وامراة والفارقليط وضع
فى اللغة العربية علما على محمد بن عبد الله وفى السريانية
كل حرف من حروف هذه الكلمة يدل على معنى الى آخر حروفه
واما الكتابة العبرانية فهى من ابجد الى اخر قرشت وما بعده
سواقط ولهى ماخوذة من السريانى ومنسوبة الى عابر
ابن شامخ واضعها واما الكتابة الرومية اللطينية فاول
من اخترع حروف اللسان اللطينى واثبتها كرمنش بن
مرسية بن شمس بن مزكية ولم تكن قبله وذلك بعد اربعة
الاف وخمسين من مبدا الخليقة اخذها من كتابة اليونان
واليونان اخذوا كتابتهم من اهل صور وكان اهل صور احدى
مدائن الشام القديمة اخترعوا كتابة ولهى التى كانت منشاء
للحروف اليونانية ومن كتابة اليونان اخذ اللطينيون كتابتهم
التى لهى كتابة جميع اهل اروبا مع بعض اختلاف وقد اندرست
الكتابة اليونانية وقلم اليونان والروم من اليمين الى اليسار
مرتب على ترتيب حروف ابجد وحروفهم، ابج، وزطى،
كلمن، سعفظ، قرشت، ثخ، ضغ، فالدال والهاء والحاء والزال
والضاد ولام الف سواقط والسبب الذى من اجله يكتبون
من اليسار الى اليمين انهم يقولون ان شان المجالس ان يستقبل
المشرق لانه مطلع النيرات ومحل ظهور النور فاذا توجه الى
المشرق يكون الشمال على يساره فاذا كان كذلك فاليسار
يعطى اليمين القوة وسبب اخر ولهو ان حركة الاعطاء من
استمداد الكبد والكبد يستمد من القلب والقلب من جهة
اليسار فطريق الكتابة ان يبتدى من الجهة التى منها
الاستمداد تنبيه حروف الكتابة العربية اكثر من

حروف جميع كتابات الامم فانها ثمانية وعشرون حرفا ولهى
ابجد، هوز، حطى، كلمن، سعفص، قرشت، ثخذ، ضظغ ويعبر ون
عنها بابجد ولهى عبارة عن ثمان كلمات مشهورة مفتتحة بهذه
الكلمة جمع فيها جميع حروف الكتابة العربية بلا تكرير وقد
جرت العادة بتعليمها المبتدين بعد ما علموهم حروف الهجاء
مفرداتها ومركباتها الثنائية على ترتيب مالوف للطباع منشط
لهم على اخذه وضبطه والفائدة فى ذلك لهو التنبيه للمبتدى
بعد تعلمه المفردات والثنائيات ان فى الكلام تركيبات ثلاثيات
ورباعيات غير متظمنة على نظام مالوف ليستانس بوقوع
المخالفة بين الحروف فيسهل عليه الشروع فى الكلام المطلق
وفيه فائدة اخرى ولهى ايناس المبتدين بالفاظ مستعملة ولها
لا معنى لها ويؤيد هذا ان معنى ابجد اخذ ومعنى هوز ركب
ومعنى حطى وقف على المقصود ومعنى كلمن صار متكلما
ومعنى سعفص اسرع فى التعلم ومعنى قرشت اخذه بالقلب
ومعنى ثخذ حفظ ومعنى ضظغ اتم وتكون كلها على صفة
الماضى من الثلاثى او الرباعى فمعنى المجموع على ترتيبها اخذ
ركب ووقف على المقصود صار متكلما اسرع فى التعلم اخذه
بالقلب حفظ اتم وعلى هذا يمكن اعتبار فائدة اخرى فيها
ولهى تاليف المبتدئين بالمعانى المربوطة بعضها ببعض بنوع
من الارتباط ليتفطن المتعلم الذكى اذا عرفها الى ان الاهم له
اللايق به فى حال التعلم ما يفهم من هذه الكلمات من الاخذ
والتركيب والوقوف على المقصود وتكرار التكلم والاسراع
فى التعلم والاقبال عليه بالقلب وحفظه له والقيام بحقه
من الاتمام وغيره واما قول صاحب القاموس وابجد الى قرشت
وكلمن رئيسهم ملوك مدين وضعوا الكتابة العربية على عدد

فى معين به المعانى بعد
ما كانه يستعمل به تركيبا
به الحروف مراعاة

حروف اسمائهم هلكوا يوم الظلة الى ان قال ثم وجد وا معهم
بعدهم تخذ ضنطغ فسموها الروادف فهو قول غريب من صاحب
القاموس بعيد عن الصواب لا تخفى غرابته من وجوه كثيرة
وهذه الكلمات الثمانية فزعوا عليها من قديم الزمن الحساب
المشهور بالجمل بضم الجيم وفتح الميم فان جميع حروف الهجاء
المجموعة فيها ثمانية وعشرون حرفا فجعلوا سبعة وعشرين
منها الاصول مراتب الاعداد من الاحاد والعشرات والميات
وواحد للالوف فلم يحتاجوا معها الى ضم شيئ اخر اليها اصلا
فضلا عن تكرارها كما احتاج اهل الهند فى ارقام حسابهم
الى ضم علامة صفر فى عشراتهم وصفرين فى ميا تهم وثلاثة
فى احاد الالاف وهكذا فيحصل المقصود فى جميع المراتب من
نفس هذه الحروف بالافراد والتركيب والتقديم والتاخير
كما هو مقرر معروف خاتمة من الناس من ينكر
التاليف والتصنيف وكتابة العلوم فى هذا الزمن وهذا الانكار
خطاء اذ لا وجه لانكار التصنيف اذا صدر من العلماء الكاملين
البالغين مرتبة التصنيف وانما يحمل هذا المنكر على انكاره التنافس
والحسد الجارى بين كل متعاصرين ولله در من قال

قل لمن يرى المعاصر شيئا ويرى للاوايل التقديما
ان ذاك القديم كان حديثا وسيبقى لهذا الحديث قديما

فان نتايج الافكار لا تقف عند حد وتصرفات العقول لا نهاية
لها لان العالم المعنوى واسع كالبحر الزاخر والفيض الالهى ليس
له انقطاع ولا آخر وغير محال ولا مستبعد ان يدخر الله لبعض
المتاخرين ما لم يعطه لكثير من المتقدمين فقول القائل ما ترك
الاول للاخر شيئا خطا والقول الصحيح هو كم ترك الاول
للاخر ويقال لا كلمة اضر بالعلم من قولهم ما ترك الاول

للآخر

للاخر شيأ لان لهذه الكلمة تقطع الامال عن زيادة العلم علم المتقدمين
ويقتصر الاخر على ما قدمه الاول وهو خطر عظيم وقول سقيم
فالاوائل فازوا باستخراج الاصول وتمهيد القواعد والاواخر
فازوا بالاستنباط من الاحوال وتشييد تلك القواعد وزيادة
البناء عليها وان تصانيف العلوم كثيرة لاختلاف اغراض المصنفين
وهي تنحصر من جهة المقدار في ثلاثة اصناف الاول مختصرات
تجعل تذكرة لرؤس المسائل ينتفع بها المنتهي للاستحضار وربما
افادت بعض المبتدئين الاذكياء والثاني مبسوطات تقابل المختصرات
وهي ينتفع بها للمطالعة والثالث متوسطات ونفعها عام
والتصنيف على سبعة اقسام لا يصنف عالم عاقل الا فيها
وهي اما شيئ لم يسبق اليه فيخترعه او شيئ ناقص فيتمه او
شيئ مغلق يشرحه ويبينه او شيئ طويل يختصره دون ان
ينقص شيئا من معانيه او شيئ متفرق يجمعه او شيئ مختلط
يرتبه او شيئ اخطا فيه مؤلفه فيصلحه ويشترط في التصنيف
اتمام الغرض الذي وضع الكتاب لاجله من غير زيادة ولا نقص
وعدم استعمال اللفظ الغريب الا في الرموز والالغاز وينبغي ان
يكون التصنيف مسوقا على حسب ادراك اهل الزمن وعلى
قدر ما تصل اليه عقولهم فاذا كانت الخواطر ثاقبة قام الاختصار
لها مقام الاكثار واستغنت بالتلويح عن التصريح والا تكن الخواطر
كذلك فلابد لها من زيادة الكشف والبيان وقد جرت عادة
المصنفين ان يذكروا في صدور كتبهم اشيأ سموها الرؤس منها
الغرض والباعث الذي وقع التصنيف لاجله ومنها المنفعة
ليتشوق الطالب الناظر في التاليف اليها ومنها العنوان
الدال على ما ياتي تفصيله ومنها تسمية المولف نفسه ليعلم
قدره في العلم وغير هذا والمصنفون على فرق منهم من له في العلم

ملكة تامة وراية كاملة وفهم ثاقب فتصنيف لهذه الفرقة
عن قوة تبصرة ونفاذ فكر وسداد راى ومنهم من له ذهن
ثاقب وعبارة سهلة طالع الكتب فاستخرج درها واحسن
نظمها ولهذا ينتفع به المبتدؤن والمتوسطون ومنهم من
صنف وجمع ليفيد نفسه لا لافادة غيره ولهذا لا حجر عليه
ويلزم كل مصنف اذا تمم ما صنفه الا يخرجه للناس *
ولا يطرحه من يده الا بعد تهذيبه وتنقيحه واعادة مطالعته
فانه قد قيل الانسان في سعة وفي سلامة من افواه جنسه
مالم يصنف كتابا او يقل شعرا ويقال من الف فقد استشرف
اى مد عنقه للمدح او الذم فان احسن فقد استعطف اى عطفت
عليه القلوب وان اساء فقد استقذف اى عرض نفسه للقذف
والشتم والعالم اذا اراد تصنيف كتاب بغير لغته وبغير خطه
الذى نشا عليهما وسبقت ملكتهما اليه ربما كان ذلك عسيرا
في غاية الصعوبة واني لا تعجب وما تقضى عجبى من علماء *
فرانسا وقدرتهم على هذا فان الله خصهم بمزيد ذكاء وفطنة
لان مباحث العلوم انما هى في المعانى ولا بد في اقتناص المعانى
من الالفاظ من معرفته دلالتها اللفظية والخطية عليها
واذا كانت الملكة في الدلالة راسخة بحيث يتبادر المعانى
الى الذهن من الالفاظ زال الحجاب بين المعانى والفهم *
ولم يبق الا معانات في المعانى من المباحث لهذا شان المعانى
مع الالفاظ والخط بالنسبة الى كل لغة فثبت ان اللغة
ملكة في اللسان والخط صناعة ملكتها في اليد فاذا تقدمت
في اللسان ملكة العجمة السابقة وفي اليد ملكة غير الخط العربى
صار مقصرا في اللغة والخط العربيين لان الملكة اذا تقدمت
في صناعة قل ان يجيد صاحبها ملكة في صناعة اخرى الا ان

تكون

تكون ملكة العجمة السابقة لم تستحكم كما فى الاصاغر من ابناء
العرب والعجم وكان علماء الملة الاسلامية فى صدر الاسلام
غير مشتغلين بالتصنيف جارين على طريق العرب الاول فى الا
ستغناء بالحفظ وكانوا يقولون اذا كتبنا اعتمدنا على الكتابة
وتركنا الحفظ فيعرض للكتاب عارض فيتلف علمهم بتلف الكتاب
ويقولون ايضا الكتاب يمكن ان يزاد او ينقص منه ويغير
والذى يحفظ لا يمكن تغييره ويحكى فى هذا المعنى حكاية
وقعت زمن المامون العباسى وذلك انه جاءه يهودى يوما
على انه يشتكى من مظلمة ظلمها فلما تكلم اليهودى تعجب المامون
من فصاحته وبلاغته وقوة قلبه وظرافته ولطافته فعرض
عليه المامون الاسلام فامتنع ثم بعد سنتين جاء مسلما
الى المامون فساله عن سبب اسلامه فقال له انى لما ذهبت
من عندك قلت فى نفسى اختبر الاديان فعمدت الى التوراة
فكتبت منه عدة نسخ فقدمت بعض الكلمات واخرت البعض
واسقطت البعض وذهبت بالنسخ الى مجمع احبار اليهود
فتسا قطوا على النسخ واشتروها ثم عمدت الى الانجيل وعملت
به ما عملت بالتوراة وذهبت بالنسخ الى مجمع القسيسين فتسا قطوا
على النسخ واشتروها ثم عمدت الى القران وفعلت به ما فعلت
بالتوراة والانجيل وذهبت بالنسخ الى مجمع العلماء فصار كل من
يتصفح النسخ وينظر فيها يقول هذا ما هو قران ويرميها فعلمت
ان الكتب المنزلة كلها تقبل التبديل والتغيير الا القران لكونه
محفوظا فى صدور اهله فاسلمت لهذا السبب ثم لما انتشر الاسلام
واتسعت مملكته وحدثت الفتن شرعوا فى تدوين الحديث
النبوى وقوانين الشريعة واشتغلوا بالنظر والاستدلال
والاستنباط وتمهيد القواعد والاصول وترتيب الفوائد

والفصول وكان ذلك مصلحة عظيمة ومع هذا فالسند عند
علماء الاسلام شرط فى العمل بما فى الكتب والاحتجاج بها والسند
هو ان يعطى المصنف كتابه الى اخر ويقول له اذنت لك
ان تروى عنى هذا الكتاب او يعطيه الذى اخذه عن المصنف
الى اخر بهذا الشرط وهكذا كل علم واذا عدم هذا السند
فى كتاب يكون غير معتبر ولو تكون فيه العلوم الكثيرة ولا
يصح نسبة ما فى الكتاب الى من نسب الكتاب اليه الا بشرط
السند وهذا شئ خص به علماء الاسلام وشريعته فان
احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم رواها عنه العدول
ثم اخذها عن اولئك العدول عدول اخرون وهكذا حتى
وصلت للبخارى مثلا وهو عدل ثم البخارى صنف كتابه ورواه
عنه تسعون الفا ثم انتشر فى المشرق والمغرب بالسند حتى وصل
الينا واما علوم الاوايل والفلاسفة فانها فى صدر الاسلام
مهجورة الى دولة بنى العباس وكان اول من اعتنى منهم
بالعلوم ابو جعفر المنصور وكان مقدما فى علم الفلسفة
والنجوم ثم لما وصلت الخلافة الى المامون بن الرشيد تم ما بدا
به جده واستخرج العلم من معادنه بعلو همته فراسل
ملوك الروم وسالهم كتب الفلاسفة فبعثوا اليه من كتب
افلاطون وارسطوا وبقراط وجالينوس واقليدس وبطليموس
وغيرهم واحضر لهذه الكتب مهرة المترجمين فترجموا له على
غاية ما امكن ثم الزم الناس قراتها ورغبهم فى تعلمها اذ المقصود
من المنع منها فى صدر الاسلام هو لاجل ضبط قواعد الشريعة
ورسوخ عقايد الصحيحة وقد حصل ذلك مع ان اكثر الفلسفة
والهيئة والهندسة لا تعلق لها بالديانات ولما نقلت علوم
الامم بالترجمة وحدثت الملكات لاهل الملة الاسلامية نقلوا هذه

العلوم

العلوم الى علومهم وبقيت تلك الدفاتر التى باللغة الاعجمية نسيا منسيا واصبحت العلوم كلها بلغة العرب واحتاج القايمون بها الى معرفة الدلالات اللفظية والخطية فى لسانهم دون ماسواه من الالسن لدروسها وذهاب العناية بها

* خاتمة الرسالة فى انقسام الناس بحسب العلوم والمعارف واختلاف المذاهب * اعلموا ان الناس قسمان قسم اعتنى بالعلوم فظهرت منهم انواع المعارف فهم صفوة الله من خلقه وقسم لم يعتنى بالعلوم عناية يستحق بها اسمه فالاول امم منهم الهند والفرس واليونان والروم والفرنج والعرب والعبرانيون واهل مصر والثانى بقية الامم اما الهند فان اهله وان كانوا فى اول مراتب السواد فان الله جنبهم سوء اخلاق السودان وفضلهم على كثير من البيض فهم اهل الاراء الفاضلة والاحلام الراجحة ولهم التحقيق فى علم العدد والهندسة والطب والنجوم والعلم الطبيعى ومنهم براهمة فرقة قليلة العدد مذهبهم ابطال النبوات وتحريم ذبح الحيوان ولهذا من ضعف امزجتهم وقلوبهم فان قوى القلب بحسب المزاج يستحسن الايلام ولا يستقبحه وجمهور الهند صابية يعبدون الملايكة والكواكب ولهم ينكرون النبوات ايضا ولهم فى تعظيم الكواكب واد وارها اراء ومذاهب والمشهور فى كتبهم مذهب السند هند اى دهر الداهر ومذهب الاجهير ومذهب الارکند ولهم فى الحساب والاخلاق والموسيقى تاليفات كثيرة ومن تصانيف حكماء الهند كتاب كليله ودمنه وما فيه من الحكم المنظومة بضرب الامثال يشهد بكمال عقل واضعه وترجم من الهندية الى الفارسية ايام انوشروان الملك العادل وكان محبا فى العلم واهله ثم ترجم من الفارسية الى العربية ايام المنصور العباسى ترجمه ابن المقفع

العالم المشهور ويكفى اهل الهند شرفا وضع الشطرنج الذى سار
فى الدنيا سير الشمس وصار الناس يشهدون بالعقل لمن يحسن
اللعب به فكيف بعقل واضعه ومستنبطه واسم واضعه صاصه
ابن داهر واسم الملك الذى وضع لاجله شهرام وكان اردشير
ابن بابك اول موك الفرس الاخيرة وضع النرد وافتخرت الفرس
به فلما وضع صاصه بن داهر الشطرنج حكمت حكماء ذلك العصر
بترجيحه على النرد ولما عرضه على الملك شهرام اعجبه وفرح به
كثيرا وقال لصاصه اطلب منى ما تريد من الاموال فقال
له طلبت ان تضع حبة قمح فى البيت الاول ولا تزال تضاعفها
حتى تنتهى الى الاخر فهما بلغ من القمح تعطينى فاستصغر الملك
ذلك وانكر عليه لكونه طلب شيئا حقيرا عند الملك وكان
اضمر له شيئا كثيرا فقال صاصه ما اريد الا هذا فزاده
فيه ولهو مصمم عليه فاجابه الملك الى مطلوبه فلما قيل
لارباب الاقلام حسبوه فقالوا ما عندنا قمح يفى بهذا ولا بما
يقاربه فلما اخبر الملك استنكر هذه المقالة واحضر ارباب
الديوان وسالهم فقالوا له لو جمع كل قمح فى الدنيا ما بلغ لهذا
القدر فطالبهم ببيانه فقعدوا له وحسبوه فظهر له صدق
ذلك فقال الملك شهرام لصاصه انت فى طلبتك اعجب حالا من
وضعك الشطرنج ومن تامل الشطرنج وتامل حركات قطعه
وتفكر فى صورة وضعه وجده قد كشف عن سر من القضاء
والقدر بسهولة وذلك ان الواضع له حكيم فيما قدره وقرره
وامضاه وقضاه وسبق به علمه وجرى بوضعه قدره ولم
يشاركه فى اختراعه له مشارك وجعل امر كل لاعب به من
الناس راجع اليه وعايد عليه ان غلب فباجتهاده وان غلب
فبتفريطه وان اللاعبين كليهما مع تفويض الامر اليهما فى الجد

والاجتهاد

والاجتهاد والفكر والتدبر والاكتساب والتحيل لا يخرجان في
جميع ذلك عما قضاه الواضع وقدره وشرعه لهما فهما
مجبوران في صورة متخارين ومختاران في صورة مجبورين اطلع
لهذا الواضع على سر عزيز من اسرار قدر الله تعالى وعلم
ان الانسان كاسب غانم او معاقب وان الله لا يظلم مثقال ذرة
ولكن الناس انفسهم يظلمون وان الله اراد من العباد ما هم
فاعلون له ولم يجبرهم ولو عصمهم ما خالفوه كما اراد الواضع من
ما لهم لاعبونه ولم يجبرهم فمن احسن فلنفسه ومن اساء
فعليها ولم يخرج واحد منهما عما قدره من البيوت والقطع
وعددها ونقلها ولو اراد منهما غير ذلك ما خالفاه فافهم
هذا جيدا فالشطرنج مثال حكمي ووضع علمي يجلب به الراي
ويزداد به العقل ويلهى به عن الهم ويكشف عن مستور
الاخلاق ويحكي صورة الحرب ويبين مقدار حلاوة الظفر
بالخصم وبالنصر على العدو ومقدار مرارة القهر والخذلان
والشطرنج الكبير فيه من الزوايد جملان وزرافتان وطليعتان
ودبابتان ووزير واما الفرس فانهم امة قديمة من اقدم
امم العالم واشدهم قوة واسم ابيهم بالعربية فارس وباليونانية
بريشرور وبالفارسية بريشرس وكانت لهم دولتان عظيمتان
طويلتان الاولى منهما الكيية وانما قيل لهم كيية لانهم كانوا يسمون
الملك منهم كي فلان ومعناه التنزيه اى مخلص متصل بالروحا
ويظهر من التواريخ ان مبدأها ومبدا دولة التبابعة ملوك
العرب من حمير واحد ولهذه الدولة الكيية هي التي غلب عليها
الاسكندر اليوناني والثانية الساسانية وهي معاصرة لدولة
الروم بالشام وهذه الثانية هي التي غلب عليها المسلمون
وكان الفرس في اول امرهم موحدين على دين نوح الى زمن

طهمورث وهو اول من ذلل الخيل وركبها فاعتقد دين الصابئين
وقهر الفرس على اتباعه وبقوا على هذا الدين نحو الف سنة
الى ان تجسوا بسبب زرادشت وكان ظهوره ايام يستاسف
احد ملوكهم فجاء الى يستاسف وعرض عليه دينه فاعجبه
وحمل الناس على الدخول فيه وقتل من امتنع وجاء زرادشت
بكتاب ادعاه وحياكتبه فى اثنى عشر الف جلد وسمى ذلك
الكتاب سناه وبد ورعلى ستين حرفا من حروف المعجم
وفسره زرادشت وسمى تفسيره زند ثم فسر التفسير
وسماه زنده ولهذه اللفظة هى التى عربتها العرب زنديق
وكان زرادشت يقول بالاهين اثنين يزدان واهرمن
اى النور والظلمة ويعبد النار وكان لهذا الكتاب ثلاثة
اقسام قسم فى اخبار الامم الماضية وقسم فى حدثان المستقبل
وقسم فى نواميسهم وشرائعهم وجدد زرادشت بيوت
النيران وكان اخمدها منوشهر احد ملوكهم ورتب لهم
عيدين النيروز فى الاعتدال الربيعى والمهرجان فى الاعتدال
الخريفى ولما غلب الاسكندر الفرس الاولى احرق هذه
الكتب وبقوا على ذلك الى ايام سابور بن اردشير ظهر مانى
الحكيم بعد المسيح وكان مانى يقول موجد العالم اثنان النور
خالق الخير والظلمة خالق الشر واتبعه سابور قليلا ثم رجع
الى الماجوسية دين ابائه وفى ايام قباد من ملوك الفرس
ظهر مزدك وكان يقول باستباحة اموال الناس وانها
مشتركة بينهم وليس لواحد ملك شئ ولا تجبر عن غيره
والاشياء كلها من ملك الله لا يختص احد بشئ وفى
ايام ابرويز منهم وصلت جنود الفرس الى بيت المقدس
واخذوا اسقفها ومن معه وطالبوهم بخشبة الصليب

فاستخرجوها

فاستخرجوها من الدفن وبعثوا بها الى ابرويز وفى ايام بوران
بنت ابرويز ردت خشبة الصليب الى الجاثليق وامة الفرس
لهم اعدل الامم واوسطهم دارا بالنسبة الى هذه المعمورة ولهم
عناية بالطب واحكام النجوم ولهم ارصاد ومذاهب فى حركاتها
واتفق العلماء على ان اصح المذاهب فى الادوار مذهب الفرس
ومنهم واضع النرد جعله مثالا للدنيا واهلها فرتب الرقعة
اثنى عشر بيتا بعدد شهور السنة وجعل القطع ثلاثين قطعة
بعدد ايام كل شهر وجعل الفصوص مثلا للقدر وتقلبه بالهل
واما اليونانيون فلهم امة عظيمة القدر ولهم منسوبون الى
الى يونان ولهو فى التوراة ولد يافث بن نوح لصلبه واسمه فيها
يافان بفاء تقرب من الواو وغربته العرب الى يونان
وبلادلهم رومة ايلى واناطولى وقرمان واخوانهم اللطينيون
مساكنهم بالمغرب منهم ومن اليونان الاسكندر الذى
قهر الملوك وغلبهم يقال انه استولى على خمسة وثلاثين
ملكا ومن اليونان الحكماء المشهورون مثل ارسطو ولهو معلم
الاسكندر وكان مسكنه مدينة اسا ولهو كبير حكماء الخليفة
غير منازع اخذ الحكمة عن افلاطون اليونانى كان يعلم
الحكمة ولهو ماشى تحت الرواق المظلل له من حر الشمس
فسمى تلاميذه بالمشائين واخذ افلاطون عن سقراط ويعرف
سقراط الدن بسكناه فى دن من الطين اتخذه وقتله
قومه لمانهاهم عن عبادة الاوثان وكان لهو اخذ الحكمة
عن فيثاغورس منهم ويقال ان فيثاغورس اخذ عن تاليس
حكيم ملطية واخذ تاليس عن لقمان الحكيم المشهور ومن
حكماء اليونان ذى مقراطيس وانكساغروش وارسطو لهو
الذى ترجم كتب لهرمس المثلث بالنعمة واخرجها من

اللسان المصرى الى اليونانى وشرح مافيها من العلوم والحكمة
والطلسمات وكتاب الاسطماطيس يحتوى على فتح الحصون
والمدن بالطلسمات والحكم ومنها طلسمات لانزال المطر
وجلب المياه وكتاب الاستطيرطاش فى الاختيار على سير
القمر فى المنازل والاتصالات وكتب اخرى فى منافع وخواص
لاعضاء الحيوانات والاحجار والاشجار والحشايش ومنهم
نبد فيلس وكان فى عمر داوود النبى وكان علماء اليونان
يسمون فلاسفة الهيون ومعنى فلا بلغتهم المحب وسوف
العلم فمعنى فيلسوف محب العلم ولهم تصانيف فى انواع
العلوم فهم ارفع الناس منزلة لما ظهر منهم من الاعتناء
الصحيح بفنون الحكمة من العلوم الرياضية والمنطقية والمعارف
الطبيعية وجميع العلوم العقلية ماخوذة عنهم ولهم الذين
اسسوها وفى دولة فلديغش من اليونانيين كانت ترجمة
التوراة من اللسان الرومى واللطينى على الصحيح وقيل
فى دولة فيلافادوس اى محب اخيه كانت ترجمة التوراة
وكتب الانبياء من السريانية الى اليونانية ولغة الاقدمين
من اليونان تسمى الاغريقية وهى من اوسع اللغات ولغة
المتاخرين تسمى اللطينى كان اليونان فرقتان اللطينيون
والاغريقيون واما الروم ولهم الكيتم اللطينيون فهم اخوان
يونان ونسبهم الى يافث بن علجان بن نوح وبلادهم
بالناحية الغربية من خليج القسطنطينية الى بلاد الافرنك
وملك لهذه الامة قديم واول ملوكهم القش بن شطرش
ابن ايوب وذلك فى اخر الالف الرابع من مبدء الخليقة ثم
اتصل الملك لابنه ولحافديه روملش واملش ولهما اللذان اختطا
مدينة رومة وذلك لاربعة الاف وحسمائة من مبدء

الخليقة

الخليقة وسميت باسم بانيها وسمى اهلها الروم وكان الروم
صابية الى ان قام قسطنطين المظفر بدين المسيح وقهر الروم
على الدخول فيه فاطاعوه ولم يزل دين المسيح يقوى الى
ان دخل فيه جميع الامم المجاورة للروم وكان منهم حكماء وعلماء
بانواع الفلسفة وكثير من الناس يقول ان الفلاسفة
المشهورين رروميون والصحيح انهم يونانيون ولتجاور
الامتين دخل بعضهم فى بعض واختلط خبرهم وكلا الامتين
مشهور العناية بالفلسفة الا ان لليونانيين من المزية
والتفضل ما لا ينكر ولغتهم مخالفة للغة اليونان وقيل لغة
اليونان الاغريقية ولغة الروم اللطينية ولهم قلم يعرف
بالساميا فى القديم ولا نظير له فان الحرف الواحد منه محيط
بالمعانى الكثيرة ويجمع عدة كلمات قال جالينوس فى بعض
كتبه كنت فى مجلس عام فتكلمت فى التشريح كلاما عاما
فلما كان بعد ايام لقينى صديق لى فقال لى ان فلانا يحفظ
عليك فى مجلسك انك تكلمت بكذا وكذا واعاد على الفاظى
فقلت من اين لك لهذا فقال انى اعرف قلما يسبقك بالكتابة
فى كلامك ولهذا القلم يتعلمه الخواص ويمنع منه سائر الناس
لجلالته واما الفرنج فهم من ولد يافث بن نوح كان يافث
ولد سبعة من الولد منهم ربيعات ومنه الفرنج كما فى التوراة
ويقال لهم فرنسوس وقاعدة بلادهم افرنس بفتح الهمزة
وسكون الفاء اخت القاف وفتح الراء المهملة وسكون
النون بالسين المهملة ويقولون افرنك على وزن افرنس
وكان افرنس معرب من افرنك ويقولون من افرنج والكاف
والقاف والجيم يتعاقبون فى كلام العرب وملكهم يقال له
الفرنسيس وبلادهم بسائط على عدوة البحر الرومى من شماله

وجزيرة الاندلس من ورايهم فى الغرب تفصل بينهم وبينها
جبال متوعرة ذات مسالك ضيقة يسمونها البرت وسكان تلك
الجبال الجلالقة وهم من شعوب الفرنك وكان الفرانسيس
استولوا من الجزاير البحرية على صقلية وقبرص وامريطش
وجنوة واستولوا على قطعة من بلاد الاندلس الى برشلونة
وعلى رومة وكان الفرنج ايضا ملكوا افريقية ونزلوا
امصارها العظيمة مثل سبيطله وجلولا رياغية وليس وغيرها
من الامصار وغلبوا من كان بها من البربر وادوا اليهم الجباية
وعسكروا معهم فى حروبهم ولم يكن للروم فيها ولاية وانما
كان من كان منهم بافريقية جندا للفرنج ومن حشود لهم
وكانوا ملكوا اما بين طنجة وطرابلس الغرب ومن الفرنج الملك
جرجير الذى قتله العرب اول دخولهم افريقية سنة ٢٧
من الهجرة وكان قاعدة ملكه سبيطله وهى قبلة القيروان
على مسافة يومين وكان الفرنج بافريقية يودون الى هرقل
ملك القسطنطينية لما كان الروم اغلب على الامم المجاورة لهم
من جميع الجهات الى ان كان الملك جرجير فخلع طاعة الروم
وضرب الدراهم والدنانير على صورته ولما دخل العرب افريقية
وقتلوا الملك جرجير صار التغلب للبربر على الفرنج واجتمع البربر
والفرنج على قتال العرب ومازالت الحرب سجالا بينهم الى سنة
اربع وثمانين انهزم البربر والفرنج هزيمة لم يقع لهم جمع بعدها
فمن كان من الفرنج قريب من البحر ركب الى الاندلس والى صقلية
والى سردانية من الافرنج الذين كانوا بافريقية ومن كان
بعيدا من البحر اختلط مع البربر وصاروا جملة واحدة وفى
جبل اوراس كثير من الفرنج ومن تامل الان سكان جبل اوراس
فرق بين البربر والفرنج ثم اشتغل العرب بحرب الفرنج فى الاندلس

والجزاير

والجزاير ايام عبد الرحمان الداخل الاموى وبنيه بالاندلس
وعبد الله الشيعى وبنيه بافريقية وملكوا عليهم جزاير
البحر الرومى الى ان فشل ريح الدولتين وضعف ملك العرب
فاسترجعوا ما اخذه العرب واستجل ملك افرانسا بعد
القاصرة الاولى وصاروا لايدانيهم احد من ملوك العجم
والعرب وخضعت لهم الامم وكثرت عندهم العلوم والمعارف
وتنافسوا فى اكتساب الفضائل فلم يبق لليونان والروم ذكر
فى هذا الزمان وصار اهل افرنس قدوة لجميع الناس فى العلوم
والعرفان لاسيما فى عقد الستين بعد المائتين والالف قد
جمعوا علوم جميع الامم من العرب والعجم حتى صاروا كما قيل الصيد
كله فى جوف الفرا وتمم الله عليهم النعمة بسلطنة الملك العادل
اعلا الملوك همة وابعدهم صيتا واندادهم يدا واطولهم سيفا
واشفقهم على عباد الله واحبهم الى الخلق من العرب والعجم
وما هو الا كما قيل ليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم فى
واحد ذاك الملك المؤيد المظفر نابليون الثالث فانه جمع
كلمتهم بعد الشتات واحيا لهم بعد ان كادوا يصيرون من
جملة الاموات ووصل حبلهم بعد البتات وانامهم فى مهد
الامان بعد ما كانوا لا ينامون فى بيوتهم من العدوان
واشاد لهم ذكرا وان لم يكونوا خاملين اذ بعض الذكر انبه
من البعض عند العاقلين وربحوا فى يومه ما لم يربحوا فى
سنة غيره من الملوك فله المنة العظمى على الناس ولكن
لا يشكر النعمة الا الاكياس نسئل الله ونرجوه ان يجمع له
بين خيرى الدنيا والاخرة، وان يكون له اول الامر واخره
واما العرب فهم من ولد سام بن نوح وهم الامة الراحلة حاله
اهل الخيام لسكناهم والخيل لركوبهم والانعام لكسبهم

يقومون عليها ويقتاتون البانها ويتخذون اللباس والاثاث
من اوبارها واشعارها ويحملون اثقالهم على ظهورها
ويبتغون الرزق فى غالب احوالهم من الصيد وقطع الطرق
والغارات على من جاورهم من الامم ومساكنهم مابين البحر
المحيط من المغرب الى اقصى اليمن والهند من المشرق وما
بين ذلك كمصر وصحارى برقه وافريقية والزاب والمغرب
الاقصى والسوس فما انتقلوا فى المائة الخامسة وكانت لهم
دول عظيمة واثار كريمة وصل ملكهم الى طنجة من المغرب
والى سمرقند من المشرق فى الجاهلية وكانوا فى الجاهلية اصنافا
صنف اعترف بالخالق وانكروا البعث وصنف عبدوا الاصنام
وصنف عبدوا الملايكة وكان منهم من يميل الى اليهودية
ومنهم من يميل الى النصرانية ومنهم من يميل الى الصابية
وكانت بقت عندهم بقايا من دين اسماعيل بن ابراهيم
الخليل فكانوا لاينكحون الامهات ولا البنات ولا الاخوات
ولا يجمعون بين الاختين وكانوا يحجون البيت ويغتسلون
من الجنابة ويداومون على المضمضة والاستنشاق والسواك
والاستنجاء ونتف الابط وحلق العانة والختان ويقطعون
يد السارق ويعطون دية المقتول مائة من الابل ويطلقون
وتعتد المراة التى مات زوجها شهرا وكانت علومهم علم
الانساب والنجوم وتعبير الرؤيا ونظم الاشعار والخطب
وليس يصل الى احد خبر من اهل المشرق والمغرب الا بالعرب
وذلك ان من سكنوا مكة احاطوا باخبار اهل الكتابين
التوراة والانجيل ومن سكن الحيرة علم اخبار اهل فارس
ومن سكن الشام عرف اخبار الروم واليونان وبنى اسرائيل
ومن سكن البحرين علم اخبار الهند والسند وكانوا يفتخرون

بالبيان في الكلام والفصاحة في المنطق والوفاء بالعهد واكرام
الضيو وعلو الهمة روى عن شبيب بن شيبة قال كنا في
مجلس عظيم فورد علينا ابن المقفع وكان من اشراف الفرس
وحكمايهم فقال لنا من اعقل الامم فنظر بعضنا الى بعض
وقلنا لعله يميل الى اصله فقلنا الفرس قال ليسوا هناك ملكوا
كثيرا من الارض وحووا عظيما من الملك فما استنبطوا بعقو لهم
شيئا فقلنا الروم فقال اصحاب صنعة فقلنا الصين فقال
اصحاب طرفة فقلنا الهند فقال اصحاب فلسفة فقلنا
السودان فقال اشر خلق الله فقلنا الترك فقال كلاب
مختلسة فقلنا الخزر فقال نعم سائمة فقلنا فمن قال العرب
قال فضحكنا فقال ما اردت موافقتكم ولكن اذا فاتني حظي
من النسب فلا يفوتني حظي من المعرفة ان العرب حكمت على
غير مثال يجود احدهم بقوته ويتفضل بمجهوده ويشارك
في ميسوره ومعسوره ويصف الشيئ بعقله فيكون قدوة
ويفعله فيصير حجة ويحسن ماشاء فيحسن ويقبح ماشاء
فيقبح رفعتهم عقولهم وغزتهم لهممهم حتى نالوا اكرم الفخر
وبلغوا اشرف الذكر فلما شرفهم الله بالرسول محمد بن
عبد الله صلى الله عليه وسلم ولهم على هذه الاخلاق
الجميلة والفضائل الجليلة تنافسوا في زيادة الفضائل وتسا بقوا
الى نيل العلوم والمعارف فاكتسبوا منها مالم يكتسبه الاوائل
واثروا الاثار العظيمة في اقرب مدة من نباء المدائن وعمل القنا طير
وفتح الخلجان فقد اجرى موسى بن نصير البحر اثني عشر ميلا
الى دار الصناعة بتونس وصنع مائة مركب وغزي صقلية
واخذها ووصل عمرو بن العاصي بين النيل وبحر القلزم في مدة
سنة وجرت فيه السفن من خلافة عمر بن الخطاب الى بعد

خلافة عمر بن عبد العزيز احتفره من الخليج الذى فى ناحية
الفسطاط يقال له خليج امير المؤمنين وساقه الى القلزم ثم ضيعه
الولاة وترك وغلب عليه الرمل وانقطع وصار منتهاه الى ذنب
التمساح وتيسر لهم من التصنيف فى انواع العلوم مالم يتيسر
لاحد قبلهم حتى ان منهم من بلغت تصانيفه فى انواع العلوم
ثلاثة الالف مصنف وزيادة يحكى ان خزانة الكتب بمصر
فى دولة العبيديين بلغت الفى الف مصنف وستمائة الف
مصنف وفى بعض التصانيف مائة مجلد الى ثلاثمائة مجلد
كتفسير الرازى وغيره وبلغ ملكهم حيث لم يبلغ ملك امة
قبلهم من آدم الى الان ثم بدا فيهم النقص وغير الله بهم حيث
غيروا بانفسهم شان الامم وكل شئ بلغ الحد انتهى اذا تم شئ
بدا نقصه فحاذر زوالا اذا قيل تم واما العبرانيون ولهم بنوا
اسرائل عنصر الانبياء فكانت عنايتهم بعلوم الشرايع وسير
الانبياء فكان علماؤهم اعلم الناس باخبار الانبياء وبدا الخليفة
لكنهم لم يشتهروا بعلم الفلسفة واما اهل مصر فهم اخلاط
من الامم الا ان اكثرهم قبط وانما اختلطوا لكثرة من تداول
ملك مصر من الامم كالعمالقة واليونان والروم فانتسبوا الى
موضعهم فكانوا فى القديم صابية ثم تنصروا الى وقت الاسلام
وكان لقدمائهم عناية بانواع العلوم ومنهم لهرمس كان قبل
الطوفان وكان بعده علماء بضروب الفلسفة وعلم الطلسمات
والمرايا المحرقة والكيميا وكانت دار العلم بها مدينة منف
فلما بنى الاسكندر مدينة رغب الناس فى عمارتها فكانت دار
العلم والحكمة الى الفتح الاسلامى والسبب الظاهر بحسب
العادة التى اجراها الله تعالى ويدل عليه الاستقراء فى اختلاف
الناس فى عقولهم واخلاقهم ومعارفهم احوال الشمس فى الحركة

فان الناس على ثلاثة اقسام معتبرة وفى كل قسم اقسام متقاربة
احدها الذين يسكنون تحت خط الاستواء الى ما يقرب من
المواضع التى يحاذيها ممر راس السرطان وهؤلا اضعف الناس
عقلا واوحشهم اخلاقا وابعدهم عن المعارف العقلية والكما
لات الانسانية واما الذين مساكنهم اقرب الى محاذات ممر راس
السرطان فعقولهم اكمل من الذين قبلهم وطبائعهم معتدلة
واخلاقهم مؤنسة كالهند واليمن وبلاد العرب كلها وبعض
المقاربة واما القسم الثانى فهم الذين يسكنون على راس
ممر السرطان الى محاذات بنات نعش الكبرى ولهم سكان
وسط المعمورة من هذه الارض فهم اكمل الناس عقلا والطفهم
اذهانا كاهل العراق والشام وخراسان واصبهان ولهم
مختلفون فى الكمال واكملهم عقلا واكثرهم قبولا للمعارف
سكان الموضع المعروف بايران شهر ويليهم فى الكمال سكان
افرنس فانهم وسط الاقليم الخامس ويليهم فى الكمال اهل
الاندلس فان بلادهم اخذت من الاقليم الخامس والسادس
واما القسم الثالث من سكان الارض فهم الذين مساكنهم
محاذية لبنات نعش ولهم الرؤس والصقالبة فعقولهم
ناقصة واخلاقهم وحشية واذهانهم باردة بعيدة عن قبول الكمال
وهم متفاوتون فى النقصان فبعضهم انقص من بعض والكمال الحقيقى
لله تعالى وحده وكل كمال اذا نسب اليه تعالى فهو نقص انتهى
والحمد لله اولا واخرا وظاهرا وباطنا وكان الفراغ من تبييض هذه العالجة
اللطيفة والتذكرة الشريفة الموسومة فى براعة استهلالها بتذكيرى
العاقل وتنبيه الغافل تقييد المولى الناصر والمغضفر الكاسر الجامع بين
العلم والجهاد وذلك صبح يوم الجمعة فى ١٨ شهر ربيع اول خلت منه اثنا
عشر يوما سنة ١٤٠٥ من الهجرة النبوية والحمد لله رب العالمين تم

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه وسلم -

خطبة الامام علي رضى الله تعالى عنه وارضاه وكرم وجهه
ونفعنا بمحبته امين، روى انه جلس يوما مع جماعة من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يتذاكرون
الحروف فاجمعوا ان الالف اكثر دخولا فى غيرها فى الكلام
فقام سيدنا على رضى الله عنه فخطب على البديهية فقال
حمدت وعظمت من عظمت منته، وسبقت نعمته، وسبقت
غضبه رحمته، وتمت كلمته، ونفذت مشيئته، وبلغت
قضيته، حمد مقر بربوبيته، متصل من خطيئته، معترف
بتوحيده، ومجديته، مؤمل منه مغفرة تنجيه يوم يشغل كل
عن فضيلته وبنيه، وشهدت له تشهد مخلص موقن، وعظمته
تعظيم عبد مؤمن، ووحدته بتوحيد معترف مذعن، ليس
له شريك فى ملكه، ولم يكن له ولى فى صنعه، جل عن مشير،
ووزير، وعين ونظير، علم فستر، وملك فقهر، وعصى فغفر،
وحكم فعدل، وسئل فبذل، وبعد له جميع خلقه شمل، ليس
كمثله شئ، وهو قبل كل شئ، وبعد كل شئ، منفرد بعزه،
متمكن بقوته، متقدس بعلوه، منزه بسموه، ليس يدركه بصر
ولا يحيطنه نظر، قوى منيع بصير، سميع مقتدر، بديع عليم
كريم، رؤف رحيم، عجز عن وصفه من يصفه، وضل عن
نعته من يعرفه، يجيب دعوة من يدعوه، ويرزقه ويجبوه
ذو لطف خفى، وبطش قوى، رحمته موسعة، وعقوبته
موجعة، وشهدت ببعث محمد عبده ورسوله ونبيه -
وحبيبه وخليله وصفيه صلى الله عليه وسلم صلاة تحظيه

وتزلفه وتعليه، وتقربه وتدنيه، بعثه فى شدة وعسر،
وفترة وكفر، ورحمة لعبيده، ومنة لمزيده، ختم به نبوته
ووضح به حجته، فوعظ ونصح، وبلغ وكرم، فعليه رحمة وتسليم
وبركته وتكريم، من رب غفور رحيم، ووصيتكم جميع من
حضرنى بوصية ربكم، وذكرتكم بسنة نبيكم، فعليكم برلهبة
تسكن قلوبكم، وحشية تزرى دموكم، وتقيكم وتنجيكم قبل يوم
يذلكم ويبدكم يوم يفوز فيه من ثقل وزن حسنته، وخف
وزن سيئته، ولتكن مسئلتكم مسئلة ذل وخضوع، وشكر
وخشوع، وتوبة ونزوع، وندم ورجوع، وليغتنم كل منكم
صحته قبل سقمه، وشبيبته قبل هرمه، وتفرغه قبل مشغلته
ويسره قبل عسرته، وحضوره قبل سفرته، من قبل كبر يضعفه
وهرم يدنفه، ورعب يؤلمه، ومرض يسقمه، فيمله طبيبه
ويعرض عنه حبيبه، وينقطع عنه فعله، ويتغير عقله، قبل
قولهم هو مرعوك، وجسمه منهوك، قبل جده فى نزع شديد
وخصور كل قريب وبعيد، قبل شخوص بصره، وطموح نظره،
ورشح جبينه، وخطف عرينه، وسكون منيته، فجذبت نفسه
وحفز رسمه، وبكت عرسه، ويتم ولده، وتفرق عنه عدده،
وقسم جمعه، وذهب بصره وسمعه، ولقن ومدد، ووجه
وجرد، وغسل وعرى، ونشف وسجى، ولهين ونشر عليه
كفنه، وشد منه ذقنه، وحمل فوق سريره، وصلى عليه بتكبير
ونقل من دور فخره، وقصور مشيده، فجعل فى صريح ملحود ضيق
موصود، مسقفا بجلمود، ولهيل عليه عقره، وختن عليه مدره
وتخفق جذره، ونسى خبره، ورجع عنه وليه وشقيقه، وصفيه
وشفيقه، ونسيبه وقريبه، ونديمه وحبيبه، فهو حشو قبر
ورهين نفر، يدب فى جسمه دود قبره، ويسيل صديده،

على صدره ونحره ببسحق تراب لحمه، وينشف دمه، ويرم عظمه
حتى ينفخ في صور، ويحي لنشوره، فتم بعثرة قبور، وحصلت سريرة
صدور وجئ بكل نبي وصديق، وشهيد ونطيق، وقعد للمفصل
مدبر بعبيده خبير بصير في موقف مهيل، ومشهد جليل، بين يديه
ولهو عظيم، بكل صغيرة وكبيرة عليم، فيلجمه عرقه، ويحوزه قلقه
وتنشر صحيفته، وتبين جريدته، وشهدت عينه بنظرته، ويده
ببطشته، ورجله بخطوته، وفرجه بلمسه، وجلده بمسه، ويهدد
منكر ونكير، وكشف له حيث يصير، فسلسل جيده، وضيق وريده
وغل ملكه يده، وسيق بحب وحده، فرد جنهم في كرب وشدة وظل
يعذب بحميم وتضربه زبنية من حديد، ويعود جلده بعد نضجه
لجلد جديد، يستغيث فتعرض عنه خزنة جنهم، ويستصرخ
فلم يكلم، ندم حيث لم ينفعه ندمه، وتحسر حين زلت به قدمه
فنعوذ برب قدير من شر كل مصير، ونسئله عفو من رضي عنه
ومغفرة من قبل منه، فهو ولي مسئلتي، ومنجح طلبتي، فمن زحزح
عن تعذيب ربه، جعل في جنة قربه، وخلد في قصور مشيدة،
وملك حور وعين وحفدة، وطيف عليه بكؤس، وسكن حضرة
فردوس ولبس خير ملبوس، وتقلب في نعيم، وسقي من تسنيم،
وشرب من غير سلسبيل، قد مزج بزنجبيل، وختم بمسك مستديم
ملك مستشعر سرور يشرب من خمور ليست تترق، وليست تغور في
منزلة من خشي ربه، وحذر قلبه، وتلك عقوبة من لم يطع منشئة
وسولت له نفسه معصيته، لهو قول فصل، وحكم عدل قصص قص،
ووعظ نص، تنزيل من حميد حكيم، نزل به روح قدسي من عند رب كريم
على نبي مهد مهدي، ورسول سيد زكي، صلت عليه رسل سفرة مكرمون
بررة، ونعوذ برب علي حكيم، من شر عدو لعين رجيم، ونتضرع متضرعكم
بتهليل مبتهلكم، ونستغفر رب كل مربوب لي ولكم، انتهت الخطبة المباركة

بسم

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد واله
، وصحبه ،

، امسعود جاء السعود والخير واليسر ،
، وولت جيوش النحس ليس لها ذكر ،

، ليالي صدود وانقطاع وجفوة
، ولهجران سادات ولا ذكر للهجر ،

، ليال نهارها قتام ودجنة ،
، وليلها الانجم يضئ ولا بدر ،

، ليال فيها الفراش بالهم قد جشئ
، فلا التذلي جئت ولا التذلي ظهر ،

، ليال اقول والفواد متيم ،
، ونار الجوى وقودها ما حوى الصدر ،

، امولاي طال الهجر وانقطع الصبر ،
، امولاي لهذا الليل لعل بعده فجر ،

، اسائل من لقيت لعل من مخبر ،
، يحدثني عنكم فينعشني الخبر ،

، الى ان نادتني لهمة الشيخ من مدى ،
، بعيد تعال عندنا فلك الخير ،

، فشمرت عن ذيلي الازار وطار بي ،
، جناح اشتياق ليس يخشى له كسر ،

، وما بعدت تهامة عن متيم ،
، ولا نشا عن حب حجاز ولا غور ،

، الى ان انخنا بالبطاح ركابنا ،
، وحطت رحالها وتم لنا السفر ،

، بطاح بها البيت المعظم قبلة ،

فلا فخر الا فوقه ذلك الفخر
بطاح بها الصيد الحلال محرم
ومن حلها فليس له وزر
اتانى مربى العارفين بنفسه
ولا عجب فالشان فيه له امر
وقال لى انى مذكر اكذا حجة
لمنتظروا نتم الان لم تدر
فاقت بنى مذ البست بركم
وذا وقت ما تضمن اللوح والسطر
فجدك قد اعطاك حينئذ لنا
ذخيرتكم لهنا ويا حبذا ذخر
فقبلت من اقدامه وبساطه
فقال لك البشرى فقد قضى الامر
والقى على صفرى من اكسير سره خ فصار بعد انه ذهب تبر
فصار يقال فيه ذا ذهب تبر
واعنى بهذا شيخى بل شيخ كل من
له عمة بعذبة وله الصدر
عياذى ملاذى عمدتى ثم عدتى
وكهفى اذا ما ابدى انيابه الدهر
ومنقذى من ايدى الردى ومخلصى
ولات حين النجاه اذ عمنى عمر
ومحى رفاتى بعد ان كنت رمة
واكسبنى عمر العمرى وهو العمر
محمد الفاسى له من محمد
رسول الاله الحال والشيم الغر

ميراث بتعصيب وفرض كليهما
هو البدر بين الاوليا ولهم الزهر
ويكفيك شاهدا شمائله التي
كانها روض بشق اكمامه القطر
تضوع طيبا كل زهر بنشره
فما المسك ما الكافور ما الند ما العصر
وما جود حاتم وما حلم احنف
وما زهد اهمى الامام وما صبر
صفوح سموح يقضى عن كل زلة
وتقضى مهابة له الاسد والنمر
هشوش بشوش بلغى بالرحب قاصدا
وعن مثل حب المزن دايما يفتر
فلا غضب وحدة تستفزه
صفاته عن اوج الكمال ما تزور
لنا منه صدر ما تكدره الدلا
ووجه طليق لا يزال له البشر
ذليل لاهل الفقر لا عن مهانة
عزيز ولا تيه لديه ولا كبر
وما زهرة الدنيا لديه بشى لا
ولا لهايوما فى مجالسه نشر
حريص على هداية الخلق جاهدا
رحيم بهم كانه الوالد البر
كساه رسول الله ثوب خلافة
له الحكم والتصريف والنفع والضر
وقيل له ان شئت قل قد مى علا

على كل عارف احاط به العصر
وذلك فضل الله يوتيه من يشا
فما على فضل الله حضر ولا حجر
لهذا وابيك الفخر لا فخر من غدا
وقد ملك الدنيا وساعده النصر
فهاكذا هاكذا الكمال والا لا
فمن يدعى الكمال لهذا هو البر
ابو حسن لو قدراه احبّه
وقال له انت الخليفة لا غير
وما كل مدعى الخلافة صادق
اذا سيق للمسبار بان له الخسر
وعند ما ينجلى الغبا تبدا من
على ظهر اجرد ومن تحته عير
وما كل راكب الجواد بفارس
اذا حمى الوطيس والجو معبر
فيحمى الذمار يوم لاذو حفيظة
بحام وكل شجعان الحى قد فرّوا
ونادى ضعيف الحى من ذا يغيثنى
فاننى فى ايدى العدى فى يدى اسر
وما كل سيف ذو العقار فى حده
وما كل فارس على اذا كرّوا
وما كل طير طار فى الجو فاتك
فلا طير صارخ اذا صر صر الصقر
وما كل من تسمى بالشيخ هو ذا
وما كل من يدعى بعمر اذا عمر

فهذا

فهذا مثل المدعين ومن يكن
على قدم صدق طبيبا له خبر
فلا شيخ الا من يخلص لها لكا
غريقا غدا وقد احاط به المكر
ولا تسئلن عن المشايخ غيرمن
له خبرة بالامر ما لهو مستتر
تصفح احوال الرجال مجربا
ففي كل منهل ومصر له امر
فنعم البلاد ربت الشيخ يافعا
وخير البلاد طار منها له ذكر
فمكة خير بلدة خير بقعة
وما طاولتها الشمس يوما ولا النشر
بها كعبتان كعبة طاف حولها
حجيج وان ذاك عند لهم الظفر
وكعبة حجاج الجناب الذى سما
وجل فلا ركن لديه ولا حجر
وشتان ما بين الحجيجين عندنا
فهذا له ملك وذاك له اجر
عجبت لباغى السير للجانب الذى
تقدس كيف لا يجد به السير
اليه ويلقى نفسه بفنائه
بصدق تساوى عند الجهر والسر
فيلقى مناخ الجود والفضل واسعا
ويلقى فراتا طاب ورده والصدر
ويلقى رياضا ازلفرت بمعارف

فياحبذا المرأى وياحبذا الزهر
ويلقى جنانا فوق فردوسها العلى
وما الجنان الخلدان عبقت نشر
فيشرب كاسا صرفة من مدامه
فياحبذا كاس وياحبذا خمر
فلا غول فيها لا ولا عنها ترفة
وليس بها برد وليس بها حر
ولا هو بعد المزج اصفر فاقع
ولا هو قبل المزج فانى محمر
معتقه من قبل كسرى مصونة
وماضمها دِن ولا نالها عصر
ولا شانها زق ولا حر احادى
باحمالها ولا تملكها التجر
فلو رات الاملاك ختم انائها
تخلت عن الاملاك طوعا ولا قهر
ولو شمت الاعلام فى الدرس ريحها
لما طاشوا عن صوب الصواب وما اغتروا
فيا بعد لهم عما لهم قعدوا له
فقصدهم قصد وسيرهم زور
هى العلم كل العلم والمركز الذى
به كل علم كل حين له دور
فلا عالم الا خبير بشربها
ولا جاهل الا جهول بها غر
ولا غبن فى الدنيا ولا هو مغبون
سوى رجل من شربها حظه نزر

ولا

ولا خسر فى الدنيا ولا هو خاسر
سوى من غدا والكف من كاسها صفر
اذا زمزم الحادى بذكر صفاتها
وصرح ماكنى لا خوف ولا حذر
وقال اسقنى خمرا وقل لى هى الخمر
ولا تسقنى سرا اذا امكن الجهر
وصرح بمن تهوى ودعنى من الكنا
فلا خير فى اللذات من دونها ستر
ترى الذائقين منها لهامت عقولهم
ونازلهم بسط وخامرهم سكر
وتاهوا فلم يدروا من التيه من لهم
وشمس الضحى من تحت اقدامهم عفر
وقالوا من الذى له الملك غيرنا
فنحن الملوك لا سودان ولا حمر
تميد بهم اقداحهم قد تولهوا
فما لهم عرف ولا لهم ذكر
حيارى فلا يدرون اين توجهوا
فما لهم ذكر وما لهم فكر
فيطربهم برق تالف بالحما
ويرقصهم رعد بسلع له زار
ويسكرهم نسيم نجد اذا سرى
تظن بهم سحرا وما بهم سحر
وتبكيهم ورق الحمائم بالدجا
اذا ما بكت من ليس يدرى له وكر
تجاوب تلك هذه بتحزن

تذوب له الاكباد والجلمد الصخر
وتسبيهم غزلان رامه ان بدت
واحداقها نبل واجيادها سمر
وفي شم ريحها بذلنا نفوسنا
فهانت ولهان كل شيئ له قدر
وملنا عن الاوطان والاهل جملة
فلا قاصرات الطرف عنت ولا قصر
ولا عن اصحاب الذوائب غلمات
ملاعبهم منى الترائب والنحر
لهجرنا لها الاحباب والصحب كلهم
فما عاقنا زيد ولا راقنا بكر
ولا ردنا عنها العوادي ولا العدا
ولا هالنا فقر ولا راعنا بحر
وفيها حلا لي الذل من بعد عزتي
فيا حبذا ولو في اوله مر
وذلك من فضل الاله ومنه
على فما للفضل عد ولا حصر
وقد انعم الوهاب فضلا بشرها
فلله حمد دايم وله الشكر
فقل للملوك شانكم وما رمتم
فقسمتكم ضيزى وقسمتنا كثر
خذ الدنيا والاخرى يا باغيها معا
ولهات لنا كاسا نعم ولنا الوفر
جزى الله عنا شيخنا خير ما جزى
به هاديا فالاجر منه هو الاجر

اموﻻى انى مولى نعائك التى
بها صح لى الغنا وفارقنى الفقر
وصرت مليكا بعد ما كنت سوقة
وساعدنى سعد فحصبا وناذ ر
اموﻻى انى عبد بابك واقف
لفيضك محتاج لجدوالك مضطر
فمرنى كما يكون للعبد من مولى
انا العبد ذاك العبد لا الخادم الحر
لهنيئا لنا يا معشر الصحب اننا
لنا حص امن ليس يطرقه ذعر
فنحن فى ضوء الشمس والغير فى دجا
فى اعينهم عمى فى اذانهم وقر
ولا غرو فى هذا فقد قال ربنا
ترا لهم ينظرون ليس لهم بصر
ونجم السما مهما سما لهان امره
فليس يرى الا لمن ساعد القدر
الا فاعملوا شكرا لمن جاد بالذى
هدانا ومن نعمائه عمنا بر
وصلوا على خير الورى خير مرسل
وروح هدات الخلق مذ ولهم ذ ر
عليه صلاة الله ما قال قائل
امسعود جاء السعد والخير واليسر

انتهت القصيدة المباركة المنسوبة للجامع بين
العلم والجهاد الشريف الامير سيدى عبد

القادر بن سيدى محى الدين المغربى التى
انشدها فى الحرمين المباركين لما
كان مجاورا سنة ١٢٨٠
الف ومائتين وثمانون
من الهجرة النبوية
على صاحبها
افضل الصلاة
واركى
التحية
ص

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا
ومولانا محمد وآله وصحبه

هذه القصيدة الهمزية الوبائية للامام العالم العلامة
القطب الناصح شيخ الجماعة البوصيرى رحمه الله تعالى

صلِّ يا ربِّ ثُمَّ سلِّم على مَنْ ، هو للخلقِ رحمةٌ وشفاءُ
وعلى آله وصحبه طرًّا ، ما تزينت بالنجوم السماءُ
يا رحيمًا بالمؤمنين اذا ما ، ذهلت عن ابنائها الرُّحماءُ
يا رؤفا بالمسلمين اعذنا ، من بلائك انَّنا ضعفاءُ
يا لطيفا بعبده ليس يحكى ، لطفه الرُّحماءُ واللطفاءُ
يا حليما على العباد فلولا ، ذلك الحلم بالعقوبة باءُ
انتَ ذو العز والجلال قديمٌ ، فلك الملك والغنا والبقاءُ
لكَ بالرَّحمةِ التى عمت الخلـ ـق على عرشك العظيم استِواءُ

لاتكلنا

لاتكلنا الى سواك فانا ، من سواك وان علا بـرَاءُ
ان تكلنا الى سواك نكلنا ، لضياع به يحق الشقاءُ
قد لجانا اليك من كل شرٍّ ، والهمُّ الشرور لهذا الوَبَاءُ
طهّر الارض ارض الاسلام منه ، بادمنه رجالهم والنساءُ
واجزه الى النصارى سريعا ، كي يكونَ بالمشركين الفداءُ
اذهب الباس مالك الناس عنا ، واشفنا عاجلاً فمنك الشفاءُ
قد مددنا اليك كف اضطرار ، عظم الخطب واستمرَّ البلاءُ
وتلاشت عنا الوسائط الاّ ، فضل من لا يغيض منه العطاءُ
ارحم الرحمين ذو العفو والاحـ ـسان منه العطا ومنّا الدعاءُ
ما انا ديه يا الاهي لخطبٍ ، وبلاءٍ الاّ اجيب النداءُ
كل ما قلت يا الاهي اعثني ، حصل المرتجى وزال العناءُ
فلي العيب كله ولهو وصفي ، ولكَ الحمد كله والثناءُ
لستَ تحرم سائليك وتعطي ، دون سؤلٍ وفي يديك الغناءُ
غطّنا برداءٍ عافيةٍ منـ ـك فنعم الرداءُ ذلك الرداءُ
تنسخ السقم والوباء بها عنّا كما ينسخ الظلام الضياءُ
والشفيع اليك فينا سوى من ، لشفاعته رجا الشفعاءُ
احمد المصطفى امام البرايا ، من يلوذ بجاهه الانبياءُ
الرسول الكريم والطيب الطا ، هر والمقتدى به الاتقياءُ
رحمة الله نعمة الله هادٍ ، مهتدٍ للهدى به الاهتداءُ
ذو المقام المحمود والشفيع المشـ ـفوع في الجمع في يديه اللواءُ
غوث من لاذ مغيث وملجا ، خائفٍ عند ما يعزّ اللجاءُ
اوّل الخلق آخر الرسل تاج الـ ـملك من خضعت له العظماءُ
صاحب السر والنجيب الذي كا ، ن به لاهله الاسراءُ
البشير النذير من بشرت قدْ ، مّا به الانبياء والحكماءُ
الرؤف الرحيم والحامد المحـ ـمود من كملت به السرّاءُ

مات

لم يقل قط لا لسائل فضل ، خير من دفعت به الضراء
فيه يحتمى المسيئ ويرجوا ، فضله المحسنون والابرياء
قد دخلنا حماه ولهو حصين ، لا يحوم بقربه الاسواء
فاحمنا يا محمداه فانا ، فى حماك وانا فقراء
قد احاط بنا الوباء ولاكن ، سور مدحك جنة ووقاء
وقديما لنا عوايد خير ، من مديحك ما لهن انقضاء
ولكم شدة مدحتك فيها ، فتعود بذاك وهى رخاء
ولكم فرحة بمدحك عادت ، فرحة لا تشوبها اللاواء
ولكم كربة بمدحك زالت ، بعد ما استحكمت وعاد الهناء
فاجرنا بك استجرنا وادفع ، ما لنا بسوى حماك احتماء
كاد يفنى الوباء امتك العز ، ك وقد هلكت وعم الفناء
انت نعم الشفيع فاشفع تشفع ، لك من ربك المنا والرضاء
فادرك امة وان ساء فعلا ، فعلها فلها اليك انتماء
نحن امتك العصاة فمن ير ، جون غيرك شافعا ان ساءوا
فالى من سواك تتركنا يا ، من له الجود شيمة والحياء
ان ربك مرضى لك فينا ، ان شفعت وفاعل ما تشاء
نحن بالذنب قد جفونا وحاشا ، ان يكون الجزاء منك الجفاء
انت عودتنا السماح فاحسن ، ليس الا الاحسان منك الجزاء
قد سمعنا الاله قال تعالى ، لك فى سورة بها الشعراء
بعد انذر فان عصوك فقل ، انى مما فعلتم لبراء
لم يبح لك ان تبرا منا ، مع عصيانا فزاد الرجاء
اشفعن لمنشئ المدح عبد ، مسرف وله اليك اللجاء
ماله ملجا سواك فلا علـ ، ـم ولا عمل به يستضاء
قد سمعنا فيما روينا صحيحا ، عنك اسنده لنا الامناء
كتب الحق عنده فى كتاب ، سابق قبل ان تكون السماء

سبقت رحمتى بكم غضبى والـ ـكت معناه فى الحديث القضاءُ
فلذاك انبسطت فى القول حتى ، لم ابال بما يرى الادباءُ
لو تادبت واختصرت كلامى ، كان يكفى التعريض والايماءُ
يبدأ الصريح يحسن منه ، ان يكون صياحه والبكاءُ
الغياث الغياث يا لطف ربى ، كاد لولاك ان يهدّ البناءُ
وعلى المصطفى الكريم صلاة ، ما الهادون ما استحق انتهاءُ
وسلام مبارك طيب ما ، انشدت فيه مدحة وثناءُ
وعلى صحبه الكرام وآلٍ ، فهم الوزراءُ والنقباءُ
وعلى كل من تلاهم بخيرٍ ، وهم العلماءُ والاولياءُ
وعلينا بجاههم رحمة الله ـ ـه يكون بها علينا غطاءُ
فبهم نستجيرُ والجارُ يحمى ، جارَهُ ولهم علينا الولاءُ
رب جد واعف وارحم واختم بخيرٍ ، فلك الحمدُ والثنا والسناءُ والبهاءُ

تمت الهمزية الوبائية
بحمد الله وحسن عونه

الحمد لله وحده هذه الابيات للامام الشافعى رحمه الله تعالى انه قال وقع وباء فى مصر فخفت منه فوقف على رجل فى المنام وعلمنى الابيات

ليس غير الله شيئى ابدا ، جل ربى عن مقامات السقوط
قل هو الرحمان امنا به ، وعبدناه على وفق الشروط
يا رافع العرش يا ماسك السما ، زحزح الاعداء عنا بالهبوط
نجنا من كيدهم يا ذا العلا ، مثل ما نجيت قدما آل لوط
فرجائى فيك اضحى ثابتا ، ولك الحمد ولا عندى قنوط
وصل يا رب وسلم ابدا ، على الذى رهطه افضل الرهوط

ثم سكت عنى فقلت له من انت فقال اخوك ابو العباس الخضر عليه السلام فقرأتها فنجنى الله واهلى من الوباء انتهى

على يد كاتبه افقر الورى وخادم العلما
الفقير اليه تعالى محمد سليم بن بكين
الكتبى بالرواق الفتح المجيدى
غفر له امين